مذكرات الماريشال ليوطي عن المغرب



يوم قصفنا بقوة الدارالبيضاء في 5 غشت 1907

الدارالبيضاء: 5 غشت 1917

رغم صعوبة الظروف العامة المحيطة، مستحيل أن لا نحيي الذكرى العاشرة للإنزال الفرنسي بالدار البيضاء، الذي تم يوم 5 غشت 1907.
فذاكرة الأحداث تلك، لا تزال طازجة، والشهود لا يزالون هنا، من الأروبيين والأهالي.
لقد نزلت مفرزة من البحرية الفرنسية «غاليلو»، تحت راية ضابط الصف بالاند»، على الشاطئ للدخول بقوة إلى المدينة، لتقديم الدعم لكمشة من »

الفرنسيين محاصرين بمقر القنصلية الفرنسية وببعض الدور، من قبل الساكنة المحلية الهائجة. لقد انتشرت حينها بسرعة فتوى متطرفة ضد بناء ميناء جديد انطلقت الأشغال فيه حديثا. حيث تم ترحيل العمال وتصفية 8 أروبيين، ضمنهم 5 فرنسيين. ما دفع المواطنين الفرنسيين المتبقين إلى الإحتماء بمقر القنصلية الفرنسية وببعض الدور، حيث بقوا يدافعون عن حياتهم ببطولة، إلى حين وصول القوات البحرية بقيادة «بالاند»، التي ما أن دمرت باب المدينة حتى تمكنت من ولوج أزقتها وفك الحصار عن مواطنينا وإنقاذهم، وشكلوا مجموعة تحصننت هناك حتى وصلت إليهم أول فرق الجنرال «درود»، يوم 7 غشت.

كان حاضرا في تلك الذكرى العاشرة، العديد من مواطنينا الأبطال أولئك، الذين دافعوا ببطولة عن رايتنا، وسلمت لهم أوسمة عسكرية مغربية، تعرف ب «أوسمة الإستحقاق الشريفية». إذ أمام ذات الباب التي تم فتحها عنوة منذ 10 سنوات، نصبت منصة صغيرة، التي عبر أمامها، وهم يتلقون التحايا العسكرية، الناجون من تلك المواجهات، قبل الكشف عن اللوجة التذكارية، الممجدة لدور القوات البحرية بقيادة «بالاند:، الذي سقط بدوره في ساحة الشرف بعد ذلك سنة 1915 ببحر الأدرياتيك. ولقد اختتم ذلك الحفل بإلقائي بصفتي المقيم العام، كلمة، تبعتها زيارة ترحمية على قبور ضحايا سنة 1907 [من الفرنسيين والأوربيين طبعا- م –]. وهي الكلمة التي قلت فيها:

« ها قد مرت اليوم، عشر سنوات بالتمام والكمال، حين وضعت فرنسا قدمها فوق هذه الأرض، واخترق ضابط الصف «بالاند» الباب البحري للمدينة، ورفع عاليا بحارة «غاليلو» رايتنا بألوانها الثلاثة، فوق سطح بناية قنصليتنا.

إنه لمن المستحيل، أن تمر ذكرى مماثلة مرور الكرام. بل إنه من أجل تمجيدها ولقياس الطريق التي قطعت نلتقي اليوم، هنا بالضبط حيث وقعت تلك الأحداث، والتي حددت مصير المغرب. إن التغيير الملموس المسجل بالميناء ومحيطه، يقدم الدليل منذ بداية الحماية، على أهمية ما تم إنجازه من حينها. لكن، وكما قيل هنا منذ لحظات بكلمات معبرة، فإنها ذكرى نحييها بروح وحدوية وأخوية مع الشعب المغربي. لأنه، بالنسبة له، فإن هذه الذكرى لا تعكس منطقا للقمع والإحتلال، بل عنوانا للحرية

.والإنخراط في آفاق واعدة

إن ما تعنيه، هذه الذكرى، بالنسبة لنا نحن الفرنسيين، أنها عنوان للبطولة والتضحية. وليس هناك، من هو مؤهل لتذكيرنا بفداحة ما وقع تلك الأيام، وببطولاتها، من السيد «ميغري»، الذي لم يغفل في كلمته سوى عن أمر وحيد، هو أنه كان على رأس ذلك الفريق البطل من الفرنسيين، الذي أبنوا فيه عن شجاعة مثالية، عن إصرار وعن فطنة مبادرات. ومن ضمن من ذكرنا بهم، يبرز متلألئا إسما اثنين منهم، وهبا روحيهما في ساحات حرب بالاند» و «ميرسيي». إن ما تعنيه هذه »أخرى من أجل مجد فرنسا، هما الذكرى لنا نحن الفرنسيين، أنها كانت البداية لمرحلة حاسمة من المواجهة التي كان علينا دخولها، ضد خصمنا الشديد الصلابة (وليس المغاربة)، ذاك الذي وجدناه أمامنا سنتين قبل ذلك بطنجة، محاولا قطع الطريق أمامنا، والذي واجهه أيضا ضابطنا «آماد» بمنطقة الشاوية، حيث كان يحرض الساكنة لخلق الفتنة. والذي رأيته بأم عيني سنة 1908، بشكل سافر. وهو نفسه الذي وجدناه سنة بعد ذلك، سيعى إلى إثارة الزوابع في موضوع الفارين من الجندية، ممن كانت صلابة الجنرال «آماد» حاسمة في مواجهتها. وهو نفسه أربع سنوات بعد ذلك، سنجده يواجهنا في أكادير. والذي منذ 1912، وأنا أجد له أثرا ويدا في كل محاولات زعزعة حمايتنا الوليدة بمدينة فاس، وأيضا إلى جانب الهيبة، في محاولة حثيثة لتعطيل مهمتنا للسلام والحضارة. وصولا إلى تلك الأيام المجيدة ليوليوز 1914، .(التي سقطت فيها كل الأقنعة (1

وهو ذاته، الذي لا نزال نواجهه اليوم، فوق هذه الأرض، حيث لنا الدليل على أن أمواله وسلاحه ودعمه هو الذي يحرض ويشجع المجموعات المواجهة لنا بالشمال والوسط والجنوب، والتي تناهض النظام الذي .نرسيه

إن ما تعنيه هذه الذكرى، بالنسبة للمغاربة، أنها العنوان لنهاية الفوضى، والتفسخ ونهب ثروات هذا البلد الجميل، وخيرات أهله الجادين، الأذكياء والطيبين. لقد تم ترسيم النظام، والأمن ووحدة الإمبراطورية الشريفة، تحت سلطة السلطان والمخزن (الذي يحضر إلى جانبي هنا نائب عنه، مما يهب لهذا اللقاء معنى خاص). إن الأمر تدشين لمرحلة تنموية اقتصاديا واجتماعيا لم يشهد المغرب العتيق لها مثيلا من قبل. وبالنسبة

للأجانب الحلفاء والأصدقاء، فإنه يقدم الضمانات على الحرية التجارية بالتساوي أمام الجميع. وأيضا اليقين، على إمكانية بقاء وتطوير عمل مؤسساتهم في أمان. وكم أنا سعيد بتواجد قناصلتهم إلى جانبي هنا.
إنه يدا في يد، بدون خلفيات أو أحكام مسبقة، أو أحقاد، يمكننا إحياء هذه الذكرى. ولقد كان متفقا أن تكون هذه الإحتفالية بدون بهرجة وبتقشف، بسبب الأوضاع التي نجتازها جميعا [يقصد ليوطي تبعات الحرب العالمية الأولى – م-]. وكم هي عظيمة المعاني التي تذكرنا بها وبالآمال التي تعد بها. وهي تلحم مثانة بحريتنا مع جيشنا، والفرنسيين مع مواطني الدول الحليفة فوق هذه الأرض، وأيضا مع الشعب المغربي، واتحاد كل القوى الحية ضد عدونا المشترك.
إن المرحلة صعبة وخطيرة، سواء هنا أو بباقي العالم. لكن، ما هو مؤكد، سواء هنا أو على الجبهة هناك في فرنسا، فإن العدو يكشف عن لهاته وضعفه، وأن قواه قد خارت. لنوحد الصفوف إذن، ولنعوض خساراتنا بالعمل والشجاعة وتجاوز مصالحنا الذاتية، حتى نظهر، في غد انتصار الحرية القريب، بفخر واعتزاز أننا أخذنا الطريق الأصوب للإلتفاف حول ذات الراية، التي تبثها من سبقنا إلى هنا، بالدارالبيضاء، منذ 10 سنوات.

هامش:
يقصد الماريشال ليوطي هنا، دولة ألمانيا، التي زار إمبراطورها «غليوم الثاني» مدينة طنجة المغربية يوم 31 مارس 1905، ثم يقصد تهديد الطرادة الألمانية باتنر بقصد مدينة أغادير المغربية سنة 1911، واتهامها بدعم حركة المقاومة المغربية المسلحة التي قادها الشيخ الهيبة ماء العينين، صعودا من الصحراء والتي حرر فيها مراكش سنة 1912، وانهزم في معركة سيدي بوعثمان في طريقه لتحرير الرباط. ويقصد بتاريخ 1914 انطلاق الحرب العالمية الأولى

أول اجتماع لقطاع الأحباس مغربي جزائري تونسي

الرباط: 20 غشت 1917

يعود إنشاء مؤسسة الأحباس إلى صدر الإسلام، وهي مخصصة للهبات
التي تحبس على المصلحة العامة. هكذا، فقد كانت إدارة الأحباس
، في حالة من الفوضى الشاملة، (1912بالمغرب، حين وصولنا (سنة
وكانت موضوعا لكل الإنتقادات. بينما كانت المساجد تنهار، فيما جامعة
القرويين بفاس في تراجع كلي، والحال أن إشعاعها كان لقرون عدة يطال
.كل العالم الإسلامي. وكل القيمين على الشأن الديني بدون أجور
وبينما قمنا أساسا في الجزائر، بإدماج قطاع الأحباس مع الإدارة، وتحملنا
مصاريف العبادات الإسلامية. فإنه على العكس من ذلك في المغرب، فإن
عقد الحماية قد نص على احترام استقلالية إدارة الأحباس. لكن، إصلاحا
شموليا، كان يفرض ذاته. ومع تأسيس إدارة مركزية مستقلة للأحباس
بالرباط، تابعة مباشرة إلى السلطان، تم القيام بجرد شامل لممتلكات
الأحباس بالمغرب. ومع تكليف النظار في مختلف الأقاليم بإدارة ممتلكات
الأحباس، الذين يعينهم الصدر الأعظم للممكلة، والذين جميعهم من
الأهالي، مراقبين من قبل مصلحة مختصة تابعة للحماية، فإن النتائج كانت
جد إيجابية وفي زمن قياسي. ذلك، أن التدبير العقلاني والرقابة الصارمة،
قد جعلت المداخيل تتضاعف، مما أبهج الجميع، وسمح بترميم أماكن
العبادة القديمة، وبناء أخرى جديدة، وتأدية أجور القيمين عليها بانتظام.
مما كانت نتيجته إيجابية على ممارسة العبادات على كامل التراب
.المغربي التابع للحماية الفرنسية
مثلما أن التنظيم الجديد للعادات المغربية في مجال الأحباس، الذي أنهى
مع تقليد اعتبار ممتلكاتها محرمة، قد مكن المعمرين من الحصول على
حق كراءها تحت رقابة إدارة الأحباس، عبر آلية المناقصة. علما، أن
ممتلكات الأحباس متعددة، حيث هناك أنواع من الأحباس الخاصة بكل

الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية. وأن :مذهب من المذاهب الأربعة
إدارتها تختلف حسب المسؤولين عنها الذين يكونون في كثير من الحالات
ولكل واحد منها حيثياته الإدارية .بعيدين جدا إما بالجزائر أو بمكة
.الخاصة
كان سي قدور بن غبريط (1)، بحكم مسؤولياته قد تحمل جزء كبيرا من
مهمة إعادة تنظيم قطاع الأحباس، اعتبارا لمعرفته الفقهية والشرعية
بالملف، وأيضا بفضل ما راكمه من معلومات وفتاوى في ترحاله بين
الجزائر وتونس ومكة، حيث جمع أكبر قدر من تحديد لخريطة تلك
الأحباس وحصل على أجوبة متعددة فقهية ممن لهم الحجية على منحها.
المجلس »وتحمل مسؤولية مبادرة إطلاق تنظيم لقاء سنوي يعقد بمقر
الأعلى للأحباس« بالرباط والذي يشارك فيه ممثلون عن مختلف
.القطاعات الدينية المسلمة الواقعة تحت إدارتنا بالجزائر وتونس
أول لقاء ضم شخصيات رفيعة من الجزائر وتونس، التئم بالرباط، يوم 20
، تحت الرعاية السامية لجلالة السلطان، الذي دعاني للعودة 1917غشت
من الجبهة العسكرية حيث كنت منذ 15 يوما، لأترأس حفل افتتاحه. وهو
:الحفل الذي ألقيت فيه الكلمة التالية
يغمرني شعور عظيم ويتملكني إحساس بالرضى لتواجدي هنا في هذا »
الجمع النير للمجلس الأعلى للأحباس، محاطا برجال دولة من الحكومة
الشريفة، ومن ممثلي مختلف الحواضر المغربية، وأيضا من أعضاء
.الأحباس بالجزائر وتونس
إنني أعلم أن كبراء المدن المغربية الكبرى، المعتمدين هنا، قد حظوا
برضى جلالة السلطان العالي، وإليهم أتوجه، وإليكم جميعا، بأحر عبارات
ويحق لي، كمقيم عام، أن أعلن أن النتائج الممتازة المتحصلة .ترحيبي
حتى اليوم، في إدارة الأحباس، على مستوى تضاعف مداخيلها، مقارنة
بما كان عليه الحال السيئ لها قبل خمس سنوات، قد جعلت وضعية
ممتلكات المسلمين المحبسة قد تحسنت بدرجات مبهرة. وإن الإصلاحات
المنفذة، بعد سنوات، بل قرون، من الجمود والتبديد والإسراف، قد تحققت
بفضل حنكة جلالة السلطان. لقد قرر منح مسؤولية تدبير إدارة الأحباس
لوزيرها الحالي، الذي أفضت مجهوداته القيمة المتواصلة إلى إنقاذها من
التلف الذي كان يتهددها. ولقد كان محاطا ومدعوما بمساعديه الذين

.يستحقون الثناء هنا، وضمنهم السيد بيارناي، المسؤول عن الرقابة
إنني أتوجه أيضا، بتشكراتي العظيمة إلى فخامة الصدر الأعظم للمساعدات التي قدمها من أجل تحقيق هذه المهمة، وأن قوة تجربته ومعرفته العميقة بالشؤون المغربية قد كانا مفيدان جدا. وأهتبل هذه المناسبة لأعبر للسي قدور بن غبريط عن عظيم تشكراتي لتعاونه النير، .(الفعال والمؤثر، وأيضا امتناني للنجاح الذي لقيته مهمته في الحجاز (2
هل نحن في حاجة لنذكر بالخدمات الجليلة التي أنجزها وزير العدل، الذي قدم لنا معرفته العميقة والعالية، والذي حاز شهرة مستحقة في المشرق كما في الغرب. مثلما أن محادثاته مع كبار ممثلي الجزائر وتونس، قد مكنته من إقناعهم بأهمية المشاركة هنا والحضور. وأحرص هنا، على تخصيص التحية من بينهم، لفخامة الجنرال بلخوجة (رئيس البعثة رئيس البعثة الجزائرية)، وأرحب)التونسية) والأغا سيدي الصحراوي بحضورهم عاليا. لقد لمستم التطور الإيجابي المسجل في قطاع الأحباس، وبفضل ذلك أصبح ميسرا مواجهة كل متطلبات العبادات وتغطية حاجيات .المحتاجين بما فيه فائدة لكافة مسلمي البلد
لقد أصبح تدبير أمور الأحباس مختصا به وزير جلالة السلطان المعين في تلك الإدارة وبرعاية ومباشرة من جلالته. بينما ينحصر دورنا نحن في تقديم الدعم والمساعدة إلى جلالته، وأن ندعم حسب إمكانياتنا الوزير المكلف حتى ينجز المهمة الكبيرة المنوطة به. مثلما أن سعادتي كبيرة بالتحسن المسجل في مجال التعليم الإسلامي، الذي تتكفل به جامعة القرويين، التي كانت في ما مضى منارة مشعة للمعرفة في كل الغرب الإسلامي. لقد كانت محجا وملتقى لكل طالبي العلم والمعرفة، القادمين من أصقاع بعيدة، لكي يغرفوا من معين علومها في مجال الدراسات الإسلامية. وأعرب عن كبير أمنياتي لهذه المؤسسة العظيمة للنجاح في .مهامها حتى يعم إشعاعها كل البلاد
لقد سنحت لي الفرصة منذ 4 سنوات، أن أزور فاس وألتقي فيها عددا من علمائها وفقهائها حول وضعية جامعة القرويين، وتوحدنا في الشعور بالأسى للحالة التي أصبحت عليها من التدهور. ولا يمكن تصور مدى سعادتي اليوم، وأنا أرى أن نتائج الإصلاح من حينها، قد أتت أكلها، مما يسمح لنا بالجزم بمستقبل زاهر لتلك المؤسسة في المستقبل، يتوازى

وماضيها المجيد. وبصفتي وزيرا لخارجية جلالة السلطان، سأبادر إلى تقديم تقرير مفصل إلى جلالته عن أشغال مجلسكم والنتائج المبهرة المتحققة فيه، والتي ستبقى، أكيد، واحدة من أهم منجزات جلالته بإزاء رعاياه.

هامش:

(1) قدور بن غبريط، كان ترجمانا جزائريا بالقنصلية الفرنسية سنة 1901، قبل أن يصبح له دور كبير في زمن الحماية الفرنسية بالمغرب، ولعب دورا محوريا في حمل السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ على قبول توقيع معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912. هو من مواليد مدينة تلمسان غرب الجزائر.

(2) يقصد الماريشال ليوطي هنا، زيارة بن غبريط لأمير الحجاز سنة 1916، لدعمه في حراكه ضد التاج العثماني وتحالفه في ذلك مع الإنجليز والفرنسيين.

أول معرض تجاري بالرباط سنة 1917

الرباط: 15 شتنبر 1917

بعد معرض الدارالبيضاء التجاري سنة 1915، ومعرض فاس النموذجي سنة 1916، أجمع الكل على الفائدة الواضحة لملتقيات مماثلة على النشاط

الإقتصادي بالمغرب، والذي يتحقق رغم ظروف الحرب، مما يهب للأهالي ثقة في صلابة مخططنا الأمني، رغم التقليص الذي طال عناصرنا المكلفة بذلك. فكانت سنة 1917، سنة المعرض النموذجي للرباط.

وأثناء افتتاحي له، يوم 15 شتنبر، ذكرت، كما جرت العادة بذلك، بالطابع الخاص لمناسبات مماثلة، بدون مزايدة. لأنه كان علي أن أنبه زائرينا القادمين من فرنسا من انطباع سجلته عليهم ولم يرق لي بتاتا. لأنهم حين نزلوا بالدارالبيضاء والرباط، تفاجأوا بتواجد عدد من الضباط والجنود، فكانت أول تعاليقهم: «لم لا يوجد هؤلاء في الجبهة في فرنسا أو في مناطق النزاع بالمغرب؟». لكنهم يجهلون، أنهم فقط في إجازة عسكرية، وأن أغلبهم مصابون، وأن بعضهم عاد ليقضي أياما وبعضهم ساعات فقط، من الراحة في أكثر مدن المغرب أمانا حينها (الرباط والدارالبيضاء)، قبل العودة إلى جبهات القتال. إن نكران ذلك عليهم، حتى ونحن ندرك أنهم يعايشون يوميا هناك في فرنسا، عودة جنودنا وضباطنا في إجازات مماثلة، مما يثير حنقنا فعلا. وذلك ما حاولت التذكير به في كلمتي أثناء افتتاح معرض الرباط النموذجي:

ها نحن للمرة الثالثة، منذ بداية الحرب (العالمية الأولى)، نفتتح معرضا » يقدم الدليل على الحيوية الإقتصادية للمغرب، وعلى ثقته في ذاته وفي فرنسا). لقد استعملتم الشعار الذي كنت أطلقته منذ التجربة الأولى)وطننا لهذه المعارض: «عمل حربي، عرض للمعركة، معرض لها». إنها النقش المبجل للمنجز الذي حققتموه اليوم، بل إنه يلخص روحها ومعناها. وعلينا أن لا نشيح أبدا بناظرنا عنها. ففي سنة 1915 بالدارالبيضاء، ثم في سنة 1916 بفاس، حرصت على أن أبرز المعنى الثاوي في ذلك الشعار. ولأنكم شبعتم من ترديدي لذلك لحد التخمة، فإنني لن أعيد تكرار ما سبق وقلته حينها أمامكم اليوم، لأنكم جميعكم، أنتم الذين ساعدتموني منذ البدايات، قد استوعبتم المعنى بشكل بليغ.

رغم ذلك، تمة نقطتان، أحرص على العودة إليهما، لأن تمة مسامير لا تتعب من الدق. إن عبارة «عمل حربي، معرض للمعركة»، تعني في المقام الأول، أننا لسنا هنا من أجل النزهة والترفيه، بل للقيام بواجب ولإنجاز مهام ملموسة، فعالة، توازي انخراطا في معركة. فهذه الفكرة

يجب أن تبقى هي السائدة، حتى نهاية معرض الرباط. لقد فهمتم قصدي ، منذ البداية، حين ألححت ((وأنا أقرا ذلك بارتياح على محياكم جميعا عليكم لإزالة كل علامات البهرجة من هذا المعرض. دون أن يسقط ذلك، عن المواد المعروضة، سواء الفرنسية أو المغربية، جمالية العرض والتقديم. وهو مما بعث في غبطة هائلة، لإدراكي لظروف الضغط الزمني الضيق، الذي حققتم فيه ذلك. وقدمتم بذلك، الدليل كم هو ممتع العمل ضمن فريق متناغم. مما كانت نتيجته هذا العمل الجيد، الذي ينجز الأساسي بدون حاجة إلى بهرجة. مما يترجم فعليا، توافقنا على أن نجعل من هذا المعرض مناسبة مفيدة ومخصبة للتلاقي، بدون حاجة لأي صيغ احتفالية زائدة.

إنكم تدركون أهمية هذا الحرص من قبلي، ونحن في السنة الثالثة من العالمية الأولى)، وأن الأحزان تتسع، وأن المشاكل تكبر، ومهم)الحرب أن لا يتوهم أي زائر لنا، أننا ننجز عملا غير مستحضر لكل تلك الظروف. بالتالي، أعول عليكم جميعا، لجعل معرض الرباط، حتى لحظة اختتامه، ذي طبيعة جدية، وأنه ليس هناك أي مجال لتحويره عن دروه المحدد له سلفا.

ما الذي نفعله هنا إذن؟

إنكم تعرفون جيدا ما نفعله هنا. إننا نقاوم المقاومة الواجبة، حتى يمتلك الإقتصاد المغربي المكانة التي يستحقها، وأن يدرك الآخرون (الذين تعرفون من أقصدهم)، أن لا مجال لهم فيهم.

ما الذي نفعله هنا؟

إننا نعلي، من خلال موعد سنوي، من قيمة مكان للتلاقي بين القلوب والمشاريع، حيث يحق لكل فرنسيي المغرب النظر في أعين بعضهم باعتزاز، والعمل يدا في يد. مكان للتلاقي أيضا بين المغاربة، القادمين من كل فج عميق، للإمبراطورية المغربية، لإعادة اكتشاف ثروات بلدهم، وتلمس أسباب التقدم والنماء التي حققناها لهم، حتى يحملوا أصداء ذلك إلى قبائلهم البعيدة. وأيضا لدعم أكبر لكل من يتعاون معنا منها، وإقناع الباقين، وهم قلة اليوم، للإلتحاق بنا وترك سلاح المواجهة الذي يحملونه أمام قواتنا.

لكن، تمة أمر آخر، أريد أن أذكركم به، ولن أتعب من تكراره. فإذا كان

متحققا لنا، هنا في المناطق المحررة الآمنة، القيام بمهامنا اليومية الواجبة، فإن ذلك يعود الفضل فيه إلى تضحيات قواتنا التي تحارب على مختلف الجبهات بالمغرب. وإنني أطلب من زوارنا (رغم صعوبة ذلك ماديا)، لو يزوروا ليس طنجة والرباط والدارالبيضاء، بل نقطنا المتقدمة للمواجهات في شمال تازة وجنوب فاس ومكناس وعلى نهر الملوية ثم تادلة وجنوب مراكش. حينها، سيكتشفون بأم أعينهم حجم وعمل قواتنا العسكرية، الذين ينجز جنودها وضباطها عملا جبارا لحماية المناطق الشاطئية. وأود لو يقفوا عند شكل الحياة التي يعيشونها هناك، تحت خيامهم الصغيرة، وبحجم المسافات الطويلة التي يقطعونها على أقدامهم في مناطق صعبة تضاريسيا، وهم دوما على أهبة الإستعداد في مواجهة طلقات البنادق. .مكتفين بالقليل من المؤونة، بدون أي فرص للدعة أو المتع
حينها سيدركون أي نوع من الحياة القاسية التي يواجهونها على الجبهة هناك، دون أن يكون لهم ولو جزء بسيط مما يتمتع به إخوتهم من أبناء بلدهم هناك في فرنسا، ولا أن يتوفروا في المناطق الخلفية على ما يتوفر حينها فقط، بعد أن يقوم زوارنا بتلك الجولة، يمكنهم .عليه رفاقهم هناك المجيئ إلى الدارالبيضاء والرباط. حينها، مؤكد أنهم لن يجدوا فيها «قصر بالماريوم» (1)، بل إنهم سيدركون لوحدهم، أنه إذا كانت »الحمراء» أو في فرنسا هناك إمكانية للعودة لزيارة العائلة (وهو الأمر الذي لا يتحقق ، فإنهم هنا لا يجدون ما يرفه عنهم من أماكن احتفالية أو (للجميع هنا قاعات سينما أو أماكن عمومية للترفيه والدعة، التي يحتاجها كل جسد متعب. علما أن تجديد الطاقة في حالات مماثلة مهم وحاسم، وهو ما لا .يتوفر هنا
كنت منذ أسابيع، بمدينة الدارالبيضاء، رفقة زائر قادم من فرنسا، حيث قال لي: «إني متفاجئ، أن أرى كل هذا العدد من الضباط الشبان هنا». كنا نعبر أمام مقهى كبير بها. وحول طاولة من طاولاتها، كان يجلس فعلا جماعة من الضباط الشباب قوي البنية. عرفتهم كلهم، فقلت له: «معذرة (وأنا أشير إليهم)، أترى هذا الضابط منهم، إنه بعين واحدة والآخر اخترقت رئته مدية، بينما ذاك الثالث أصيب إصابة بليغة في عموده الفقري مما يتسبب له في آلام مبرحة. لقد كانوا جميعهم في نقطة متقدمة من جبهات مواجهاتنا هنا. وواجب عليك احترامهم وتحيتهم». فقام بتوجيه

.التحية إليهم، وخرس
:هامش
يقصد هنا الماريشال ليوطي مطاعم ومسارح شهيرة حينها بباريس، مثل مسرح «قصر الحمراء» الذي تم هدمه سنة 1967، والذي يعود تاريخ ثم مطعم «بالماريوم» بزنقة جوبير، والذي يعود .افتتاحه إلى سنة 1866 ولا تزال هذه السلسلة الشهيرة من المطاعم .افتتاحه إلى أواسط القرن 19 ..متواجدة بكامل التراب الفرنسي، وهي من أرفع المطاعم بها

للأسف، أغلب زوارنا، لا يشاهدون سوى الدارالبيضاء والرباط. بالتالي، علينا أن لا نتعب من تذكيرهم أن قيمة السلم والأمان التي يشاهدونه فيهما، وأن المعركة الإقتصادية التي ننخرط فيها هنا، ليست ممكنة سوى بفضل .عمل مضني يومي لقواتنا الإستعمارية بالمغرب
لأنه، ما الذي تفعله الآن بالضبط، قوات الجنرال «بويميرو»، الذي هو الآن جواري، لكنه لحدود البارحة كان معها؟ (1). إنها في جنوب مكناس، في ذلك الشعب الذي فتحه بالجبال للعبور صوب نهر ملوية، من أجل توسيع ذلك الممر ومنع خصومنا من إعادة إغلاقه. إنهم، مع كل تقدم لهم على الأرض، يحاربون ويحررون الغابات المحيطة والبهية، التي ظلت مجهولة لدينا. بل، إنهم يشقون طريقا هناك، ويبنون قنطرة على نهر ملوية، للعبور صوب تافيلالت، التي ظلت حتى الآن غير متحكم فيها ضمن الإمبراطورية الشريفة، والذي سمح اليوم لابن عم السلطان النائب عنه هناك، أن يحضر إلى الرباط هنا، لأول مرة لتجديد البيعة للسلطان .وتعزيز السلطة المركزية
إنهم، يفتحون جهات جديدة أمام الإقتصاد والتجارة والتبادل الحر، مما يوسع من مصادر جديدة للثروة هنا. وغدا، سيغادرنا عبر الطائرة صوب خنيفرة، الجنرال «بويميرو»، للإلتحاق بجزء من قواته المرابطة قبالة المناطق الأمازيغية بالجبل، حيث لا مجال هناك من أجل النجاح، سوى مواصلة المعركة وقضم المسافات، وأن أفضل وسيلة للدفاع هي الهجوم.
لأنه ما الذي تفعله قواتنا في تازة الآن؟. إنهم يشقون الطريق ويضعون والطريق الإمبراطورية التي مفروض أن .سكة الحديد بين تازة وفاس

تربط المغرب بالجزائر، وتونس بالدار البيضاء، تنتهي عند أبواب تازة، حيث تنتهي المناطق التي نجحنا في تهدئتها من المغرب. وحتى ننجز كيلومترا واحدا، فعلينا تنقية المسار من كل أشكال المواجهات التي تحول دون تقدمنا. وفي هذه اللحظة بالضبط، تقوم قواتنا بمعارك بتازة، وقد تصلني ليلته أو غدا صباح لائحة جديدة من رجالنا الذين سقوا أرض المعركة هناك بدمائهم، حتى تصبح الطريق سالكة ومنجزة في الأفق المنظور، وحتى تمر سكة الحديد، لتجاوز آخر عقبة تحول دون التواصل بيسر بين تازة وفاس، عبر منطقة إناون. ولأن رجالنا هناك يحاربون ببسالة، فإنه في السنة القادمة، خلال دورة معرض 1918، ستتمكن سلع الجزائر والمغرب الشرقي، مع تجارها، من العبور إليكم.

لقد قلتها مئات، بل ألوف المرات، إذا كانت الحرب (العالمية الأولى) بعنفها الكبير، تدمر بأوروبا كل يوم ما تم إنجازه على مدى قرون، فإن حربنا الإستعمارية هنا، تكمن روعتها وجلالها، في أنها بعد كل معركة ونصر تخصب أسباب الحياة، وأن الأرض التي نمر فوقها، بدلا من أن نحولها إلى يباب، نخصب فيها أسباب النمو والعطاء. ونحول جهات عدة إلى جهات منتجة، بعد أن كانت إلى زمن قريب مقفرة. إن السور الحي، الذي تشكله صدور أولئك الذين يقفون يوميا أمام العدو، حتى تنعموا أنتم في الدار البيضاء والرباط وطنجة وسهل الغرب بالأمن والأمان، لا يجب أبدا أن تغيب عن أعينكم وضمائركم، وأن تلهج بها ألسنتكم، وأن تنقلوا ذلك إلى كل قادم جديد والتذكير بمن له الفضل في ذلك.

لا أريد أن أشكركم بأسمائكم وصفاتكم، ولا أستطيع أن أمجد أحدا، حتى لا أظلم البعض بالنسيان. إني أشكركم جميعكم بدون ذكر أسماء إذن، أنتم منظموا هذا المعرض بالرباط، موظفين، ضباط، معمرين، صحافة. فجميعكم ساهم في إنجاح هذه التظاهرة. لقد أبنتم عن جبهة صلبة للدفاع عن مصالح هذا البلد، مدركين لأهمية ما تقومون به من أجل الإقتصاد في زمن الحرب الذي نحن فيه. وإذ أشكركم، فإن معامل الإحساس بالغبطة الذي وهبتموني، غير مستغرب منكم. وأنا مدرك أنه بمنحكم لي هذا الوسام بمنجزكم، فلأنكم أساسا موقنون أن الواجب، وذاك الشغف المحب الذي بدونه لاشئ ذي بال ممكن التحقيق، الذي جعل منا جميعنا سورا غير قابل للإختراق، وفريقا موحدا،، أنه يترجم حقيقة أن كل من يشتغل

بالمغرب، يشكل إلى جانبي قوة طاقة أعترف أنني مدين لكم بها من أعماق قلبي. ومنها أستمد صلابتي حتى أنجز مهمتي التي كلفت بتحمل مسؤوليتها.
لن أذكر، هنا، سوى اسم واحد، هو جلالة السلطان مولاي يوسف، الممثل هنا بمسؤولين من مخزنه المبجل، من كبارهم، الذين أعتز أنهم يحيطون بي في هذه المناسبة. لقد كان سعيدا أن ينظم هذا المعرض عند أسوار قصره، مما يهب له إشعاعا خاصا. ولن أستطيع أبدا التعبير كما يجب عن تقديري لحجم دعمه الكبير وتقديره العالي وإعجابه بفرنسا. فجلالته هو الترياق لتلك العلاقة، التي نجد هنا أمامنا بعضا من الدليل عليها، حيث يتجاور البرنس مع البدل العسكرية ومع البدل المدنية، بدون أي حاجز تفريق بينها. فلا أحد غيره، أدرك بعمق أين تكمن مصلحة هذه الإمبراطورية.
إننا ونحن نفكر في أولئك الذين يحاربون هنا بالمغرب، علينا أن لا ننسى الآخرين الذين يحاربون هناك، ببلادنا الغالية وبجمهوريتنا (الفرنسية). لقد عينت وزارة الخارجية من يمثلها هنا، في شخص السيد «فيلليب بيرتيلو»، لأنه لا أحد مثله ارتبط منذ البداية بالقضية المغربية. ومنذ خمس سنوات وأنا أجد لديه دوما الدعم الكبير في ما يرتبط بالملفات المغربية، بدليل العدد الكبير من العقبات التي لولاه لما تمكنا من تجاوزها، بفضل غنى تجربته وجرأته في اتخاد القرارات. بالتالي، فهو شرف لي، بل واجب علي، أن أعرب له عن تشكراتي وامتناني هنا أمامكم جميعا.
أخيرا، اسمحوا لي أن أعبر عن غبطتي عن تواجد الكولونيل «طورثون»، اليوم، إلى جانبي، هو المسؤول عن المخابرات البحرية بجبل طارق. فهو أيضا من أوائل مساعدينا، حتى والدخول في التفاصيل هنا صعب بعض الشئ. فقط لتعلموا أن أدوار مصلحته تقدم منذ 3 سنوات الكثير من الدعم لتحقيق الأمن بالمغرب. لأنه بفضل المعلومات التي يقدم لنا، مضافة إلى معلوماتنا الخاصة، تمكنا من الإطلاع على الكثير من التفاصيل والحقائق والوقائع، مثلما نجحنا في النجاة من الكثير من المخاطر. وإذ أشكره هنا، فإنني أتوجه بالتحية إلى بريطانيا العظمى التي هي من أوائل حلفائنا، التي نستشعر أننا وإياها موحدون، نمشي يدا في يد،

.بقلب واحد، ولا شئ بمقدوره أن يشق صفوفنا حتى نحقق النصر الأعظم
«أيها السادة، إنني أعلن افتتاح معرض الرباط

:هامش
هو الجنرال جوزيف – فرانسوا أندري هنري بويميرو، من مواليد
واشتهر بأنه هو القائد العسكري الفرنسي .18691924، وتوفي سنة
الذي استسلم له إبن المقاوم البطل «موحا وحمو الزياني» يوم 2 يونيو
1920، بعد الهزيمة التاريخية للجيش الفرنسي في معركة الهري قرب
نونبر 1914. شارك 13خنيفرة بمنطقة قبائل زيان بالأطلس المتوسط يوم
في الحرب العالمية الأولى بالجبهة الشرقية، حيث قاد فيالق من الجنود
المغاربة «الغوم» المشاركين فيها ببسالة مشهودة. قبل أن يعود إلى
المغرب مجددا، حيث اشتغل مساعدا للماريشال ليوطي. وبعد وفاته،
بباريس، أقيم له تمثال بمدينة مكناس المغربية سنة 1927، قبالة الثانوية
.التي كانت تحمل اسمه، أزيل في بداية الإستقلال

معركتنا في تازة معركة حياة أو موت

الرباط: 28 شتنبر 1917

ألقيت كلمة في حفل عشاء، بمقر الإقامة العامة بالرباط، نظم على شرف
رجالات المخزن وكبار الشخصيات المغربية التي جاءت إلى العاصمة
لتقديم التهاني إلى السلطان (مولاي يوسف) بمناسبة عيد الأضحى (العيد
الكبير). وحضر معهم أيضا كبار رجال المال الجزائريين، الذين حضروا
إلى الرباط، للمشاركة بمعرضها النموذجي الأول، وأيضا للسلام على
الدولة العثمانية)، الزعيم)السلطان، الذي يعتبرونه بعد أحداث تركيا
:الديني المسلم الأكبر. هنا كلمتي
مثلما فعلت السنة الماضية، بفاس، حرصت هذه السنة على أن أجمع «

حول مائدتي أعضاء المخزن والشخصيات الكبار، الذين جاؤوا لتقديم تهاني عيد الأضحى لجلالة السلطان. إن لقاء مماثلا يثلج صدري، لأنني موقن أنكم تدركون من زمان حجم التقدير الذي أكنه لجنسكم، ولكل من يمثله كشخصيات سامية. لكنها مناسبة أيضا للإعلان عن المبدأ الصلب الذي تتأسس عليه السياسة الحمائية لفرنسا بالمغرب، المحددة في التعاون الكامل، الودي وعنصر الثقة بين السلطات الشريفية والسلطات الفرنسية. التعاون الذي يمثل خليطنا المتعدد هنا حول مائدة العشاء هذه، عنوانه الأبرز بتعدد بدلنا وجلاليبنا وبرنسنا.

إن كل مصدر كل السلط، هنا، هي عند «سيدنا»، الحاضر رمزيا معنا من خلال مبعوثه الخاص الصدر الأعظم وأعضاء مخزنه المبجل. وسلطته الدينية وسلطته الساسية، تمتدان على كامل التراب الإمبراطوري الشريفي، من خلال الباشوات والقياد الحاضرين معنا هذه الليلة. وإنني أمثل إلى جانب جلالته، حكومة الجمهورية الفرنسية، التي تقدم لهذه البلاد منذ 5 سنوات، من جهة القوة الضرورية لوضع حد للفوضى التي كانت تطوح به، والتي تتذكرونها جميعكم. ومن جهة أخرى، تقديم الإمكانيات المالية والبشرية والتكنولوجية الحديثة، بغاية تخصيب الثروات الطبيعية للبلد، المفضية إلى تحقيق تنمية وتقدم لم يكونا متوفرين من قبل.

إنني وأنا أمثل الحكومة الفرنسية بالمغرب، لأجدني فخورا بأن أكون من أوائل خدام «سيدنا». فكلكم تعلمون حجم ما أحمله لجلالته من تبجيل، ليس فقط لأن شخصيته المقدسة تستحق ذلك، بل لأنني أجد عنده الدعم القوي والنصائح القيمة ومحبة راسخة لشعبه واقتناعا بالعدل ورغبة جامحة في أن يرى إمبراطوريته تتقدم تحت راية القانون والسلم والنماء. وهذا لا يمكن أن يتحقق بطبيعة الحال، بدون تعاون بين جنسينا وعبر طمأنة الشعب المغربي باحترام ديانته وحماية أمكنة عبادته والممتلكات العامة والخاصة، والإبقاء الكامل على سلطته وعلى عاداته وطريقة عيشه اليومية.

إن الحظ الذي تتمتع به هذه الإمبراطورية، كامن في امتلاكها نخبة متنورة متميزة بتقاليدها وبتجربتها في ممارسة السلطة، وأيضا بممارسة التجارة وبنزوع إلى التعلم واكتساب التقدم. وأطلب الله أن لا يحرمنا، ونحن نمارس مهامنا هنا، من دعمها وتجربتها. إننا مدركون لقيمتها ولهذا السبب

.نحن حريصون على احترام التراتبية الإجتماعية القائمة
إن الثقة، التي أضعها فيكم لم تخب أبدا، بدليل النتائج المتحصلة. فبعد سنة واحدة من لقاءنا في فاس، فإن «بلاد المخزن» (أي المناطق المتحكم فيها) ما لبثت أن اتسعت، بينما تقلصت «بلاد السيبة» (المناطق غير المتحكم فيها). وأنتم تعلمون أن الطريق بين مركز السلطة ونهر ملوية وتافيلالت، التي ظلت مقطوعة منذ قرون، قد فتحناها، وأنه قريبا سنشق طريقا ونقيم جسورا وغير بعيد ستمر سكة الحديد هناك. مما سيمكننا من قطع تلك المسافة في ساعات قليلة بدلا من الأسابيع التي كانت من قبل. وكل هذا ستكون له نتائج إيجابية على التجارة والمبادلات وعلى الفلاحة وعلى إعادة الحياة لجهات عدة كانت الفوضى تطوقها وتكبلها. ونحن نشكر الله أن نجحنا في تحقيق هذه النتائج، في الآن نفسه الذي باقي العالم غارق في حرب مدمرة، قدمتم لنا فيها دعمكم الكبير، والكثير منكم أراق دمه من أجلنا هناك، وأنه بفضل اتساع صف الحلفاء الداعمين لنا، واندحار عدونا، .فإن النصر العظيم قريب
وأحيي عاليا، بمحبة، تواجد شخصيات قيادية جزائرية رفيعة بيننا اليوم. أحيي فيهم أبناء مبجلين للإسلام، إخوتكم في الدين، أبناء تربة الجزائر التي قضيت فيها سنوات جميلة جدا، والتي كانوا فيها رفاق سلاح لي، ومن أقرب مساعدي في إحلال السلم بالمناطق المتوترة. إن زيارتهم، مثلها مثل الزيارة الأسبق لوفد تونسي استقبله السلطان، تقدم الدليل الساطع على تحقق حرية التنقل بين الأطراف الشاسعة للأراضي الإفريقية، التي تقدم لها فرنسا حمايتها وقوتها وثرواتها. وأتمنى أن تتبعهم في ذلك وفود أخرى، لنسج علاقات أقوى وأصلب بين البلدين، لما فيه المصلحة .المشتركة
لنوحد، تحت راية نفس الشغف، فرنسا والإمبراطورية الشريفة، وأدعو معكم الله جلت قوته، أن ينعم علينا ببركاته جميعا، على من تتحملون مسؤولية قيادتهم، على المخزن الشريف، على شعوب المغرب الكبير، .وأن يعم فيها السلام، العدل والغنى

من أجل مغرب كبير حليف دائم لفرنسا

الدارالبيضاء: 4 يوليوز 1918

.كانت سنة 1918، في المغرب، كباقي العالم، سنة صعبة جدا وقاسية]
فالخسائر تتراكم، والإكراهات تتعاظم، وتقلص حاجيات الحياة اليومية فاقم
من الوضعية بالمغرب بسبب بعد المسافة ومشاكل التواصل، التي ظلت
تكبر يوما إثر الآخر. كان علينا دعم قواتنا التي أصبحت مهامها أكثر
صعوبة، وكنت تقريبا، خلال هذه السنة، أقضي أغلب أوقاتي في زيارة
لهذه الجبهة أو تلك بمختلف مناطق المغرب. ولم أكن أعود إلى الرباط،
سوى لمهام مستعجلة طارئة، حيث أحضر لأيام معدودات. وكان علي
.توجيه كلمات تعبئة وتحميس في هذه المنطقة أو تلك
وليس مهما، في ما أتصور، استعراضها هنا، ضمن هذه المذكرات. لأن
ببعضها تكرار، بحكم وحدة الموضوع وتشابه المقاربة والتفاصيل.
وسأكتفي هنا، بعرض تلك الكلمات التي تمت في مواعيد مميزة خاصة، أو
[ذات ارتباط بأحداث مميزة وخاصة

دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب (العالمية الأولى)، منذ سنة
وأصبحت مشاركتها فيها متعاظمة مع مرور الوقت. وكان عدد من
مواطنيها متواجدين بالمغرب، يهيؤون للإحتفال بعيدهم الوطني، من خلال
حفل شهد مشاركة الجميع عرفانا لدولتهم بموقفها الجديد من الحرب. فكان
لزاما علي أن أتحدث باسم الكل، لأوجه لهم التحية بصفتهم حلفاء لنا.
واهتبلتها مناسبة لأطلعهم على رصدنا لأمر صادر عن ألمانيا، كان السبب
في تعاظم وحدة صفوفنا، بما فيها في المغرب. وكان لزاما علي، أكثر، أن
أحذر الجميع من مخاطر الوقوع في شرك أمل واهم، وإعادة تذكيرهم
وتذكير أنفسنا إلى الحاجة لمواصلة الجهد وتقديم التضحيات الواجبة، لأن
:المواجهة لم تنتهي بعد. وألقيت هذه الكلمة
إني أرفع نخبي للولايات المتحدة الأمريكية. فجميعنا، هنا، فرنسيين »
وحلفاء، نستشعر حجم أثر الرضى المتفجر للإعجاب والإمتنان، من كل

القلوب الحاضرة، والذي يسافر قويا صوب الأمى العظيمة هناك في ماوراء المحيط.
لقد كنت بباريس، منذ 18 شهرا، حين جاءت الأخبار المؤسفة للأحداث التي وقعت في روسيا (القيصرية). فقد علا غبار اليأس سماء الآمال العريضة التي بدأت تتراءى لنا في الأفق. ففي تلك اللحظة، سيقرر رئيس الدولة (في واشنطن)، الذي تتجسد فيه روح ومزاج شعب بكامله، الرئيس ويلسون، وضع السيف على الطاولة. ونستطيع الإعتراف اليوم، أنه على قدر سعادتنا بذلك القرار، على قدر إثارته للأسئلة وعلامات الإستفهام بيننا. لأن أمريكا، لم تكن تظهر كبلد مستعد للحرب. صحيح، أننا لم نكن نشك في قيمة الدعم الذي ستقدمه لنا، صناعتها وآلياتها، لكن علينا الإعتراف أن الأسلحة والأطر لا تحتمل الإرتجال.
هل كانت لها القدرة والوقت لتهيئتهما؟ سيبعثون لنا ربما الآليات، لكن ماذا عن الرجال؟. بالنسبة لمن هم في سني، كانت ذكرى طفولة بعيدة حاضرة، قللت من أسباب ذلك الشك، وهي ذكرى حرب الإنفصال بها. كنا في التاسعة من عمرنا، وأخبار تلك الحرب تغذي خيالنا بتفاصيل بطولات باخرة «المونتور»، التي كانت تتقاطع في ذهننا مع قصص «جول فيرن» (الخيالية والعجائبية) (1). كانت كتبه قد صدرت حديثا حينها، مثل: «عشرون ألف فرسخ تحت البحار»، «من الأرض إلى القمر»، «الغواصات»، وخوف آبائنا على أن يؤثر ذلك على أدمغتنا الصغيرة، محاولين إقناعنا بمبالغاتها. والحال أن «جول فيرن» هو الذي كان محقا. لقد تنبأ بكل شئ، ليس فقط ما تحقق خلال الخمسين سنة الماضية من تقدم علمي أثناء مراحل السلم، بل أيضا ما تحقق بفضله أثناء زمن الحرب. لقد توقع الكثير لأمريكا. والجهد الذي بدل فاق كل التوقعات، فالسفن جابت كل البحار، حاملة إلينا آليات جديدة وفعالة. مثلما تغيرت التقنيات، مما تجاوز تلكؤ وتخلف إداراتنا، وجرف في طريقه كل التقاليد القديمة.
حقا، كانت الآليات تصل تباعا، لكن ماذا عن الرجال؟. لأن الحاجة في الواقع هي أكبر للرجال والصدور. لقد كانت الحاجة ماسة إلى تعويض الخصاص الذي خلفه الروس. لقد تلقينا الوعد بحضورهم، لكن هل سيتحقق ذلك فعلا؟. ذلك كان السؤال. وعدونا كان يعمل على استغلال ذلك، بالتالي كنا ملزمين بالإسراع حتى لا نمنحه الفرصة التي يريد. لأنه

حينها وقعت الهجومات الكبرى، وكبر القلق في صفوفنا لمدة ثلاثة أشهر كاملة. وفي كل الرسائل التي كانت تصلني من فرنسا، كان الأمل المعلن الأمريكيون)، وأنه علينا)واحدا، هو استمرار المقاومة حتى يصلوا الصمود كل الصيف وحتى مقدم الخريف. وحان نحن في شهر يوليوز، ومقاومتنا صلبة راسخة، وستبقى. ولقد بصمنا هناك على الجبهة الفرنسية، إلى جانب البلاجكة والبرتغاليين والإنجليز، على مقاومة وصلابة أسطورية. وعلينا هنا تحية دور القوات المغربية، التي تقدمت هناك، هجومنا المضاد. وفي منطقة «البياف» (شمال إيطاليا)، هزم الإيطاليون عدونا.
(يتبع)

هامش:
يقصد هنا السفينة الحربية الأمريكية «المونتور»، التي تعتبر أول *(1)* سفينة حربية أنهت زمن السفن الشراعية، وفتحت الباب لمشاركة السفن البخارية في الحروب. ولقد استعملت فقط أثناء حرب الإنفصال الأمريكية، بين الشمال والجنوب، بين 1861 و 1865. وتميزت بنوعية مدافعها القوية والشديدة البأس حينها، وكذا بقدرتها الأكبر على السرعة في الإبحار وعلى المناورة، اعتبارا لشكل هندستها المساعدة في مواجهة قوة المياه، في مقدمتها.

منعطف دخول أمريكا الحرب العالمية الأولى سنة 1917 -

الدارالبيضاء: 4 يوليوز 1918
(تتمة)

حين كنا صامدين على مختلف الجبهات، وصل الأمريكيون في صفوف متراصة. وكانت الرسائل الواردة علينا من فرنسا، تؤكد تواردهم بانتظام، متجاوزين كل انتظاراتنا. كانوا يصلون مجهزين بأحدث الآليات، منظمين والعزة التي كانت تهبها لنا تلك القوة، متعاضدة مع .ومستعدين للمعارك فرح المشاركة الفرنسية إلى جانبهم، أذكر منهم «أندري تارديو»، الذي كان من أوائل من اشتغل معنا بحصافة ومعرفة بالمغرب، حين حل هنا بالرباط سنة 1913، حتى يدرس بعين المكان الواقع المغربي، وصداقته أول مساعديه «تشرفني عاليا (1). وأذكر أيضا، «إدوارد دوبيللي المباشرين، والذي يشهد الكثيرون منكم بأدواره الحاسمة هنا بالمغرب وفي مواجهة المقاومة التي بقينا هدفا لها هنا. والذي لم يغادر المغرب، سوى بقلب مكسور، للقيام بذات المهام التقنية الجليلة، بحنكته التنظيمية العالية، في فضاء أكثر شساعة، فضاء تعتبر رهاناته من الضخامة ما يحول دون .(قبول أي ندم أو حزن على المغادرة (2

وسأكون مناقضا لنفسي كقائد عام، إذا لم أستفد من ذلك الجهد الأمريكي، لاستخلاص الدروس الواجبة والمفيدة للمغرب. فنحن هنا في حرب أيضا، وبشكل يزداد شراسة، والتحديات العسكرية أصبحت في المقام الأول. أكيد ماي، حين انطلق هجوم ألماني على الجبهة الفرنسية. 28تتذكرون يوم ماي، وأنا بين فاس وتازة، وصلتني رسالة هي 24والحال، أنه منذ يوم :عبارة عن أمر ألماني يقول بالحرف

سيتم الهجوم الشامل على فرنسا يوم 29 ماي، ونحن نعول عليكم » للإنتفاض جميعكم في ذات التاريخ، لطرد فرنسا (من المغرب)». إن ما علينا تسجيله عن هذا الإعلان المسبق بالمغرب حول الهجوم المقرر إطلاقه، هو كبر حجم التنسيق والجهد الألماني، ومكانة المغرب ضمنه، مما يفرض علينا جهدا كبيرا هائلا لمواجهته. فمنذ ثلاثة أشهر، وهذه فمجهودات قواتنا أكبر كل يوم، .المهمة أصبحت أشد صعوبة علينا يوميا وهنا يكمن سر عدم .ولا أخفيكم أنني عشت لحظات جدية من القلق ظهوري الكثير أمامكم، فمهامي القيادية، فرضت علي الحضور بالميدان، مثل قبطان سفينة يقود السفينة بيديه محاطا بضباطه ومساعديه. وهي فرصة نادرة، أن أحضر معكم اليوم، لأني ملزم بالمغادرة غدا، صوب

.نهر ملوية، ثم التوجه بعد 14 يوليوز القادم صوب تازة
أعرف أنه لا مجال لطلب ولو رجل واحد إضافي من بلادي فرنسا، في مقابل واجب أن أبعث لها بالرجال حسب المتوفر والمستطاع. وعلى الباقين هنا، أن يشحذوا همتهم، ويعلوا من إيمانهم، حتى يتوازى ذلك مع ذات المجهود المبدول بفرنسا وأروبا، وأن يكون جوابهم ملموسا في الميدان. فخصومنا سيعدون الخسارات على الجبهة المغربية بنفس مستوى الخسارات على جبهتنا بفرنسا. ومهمتنا أن نحافظ لفرنسا على هذا العالمية)المغرب، الذي سيكون ورقتها الأصلب بعد نهاية الحرب الأولى). ولم يحدث أن أحسستكم روحا واحدة، ورائي، مثل الآن. لقد قال السيد كليمنصو (الرئيس الفرنسي) مرة، في أحد خطاباته الشهيرة: «إني أحارب». وهنا، علينا استعارة ذات العبارة، لأقول لكم: «فكروا في .«الحرب
إني أخاطبكم بقلب مفتوح. لأنه كم هو مثير أن يكتشف المرء حين يعود من جبهة المواجهات بالمغرب، إلى الأماكن الخلفية، أنه صغيرة وتافهة الخصومات المحلية، هنا، والحسابات الذاتية. «فكروا في الحرب»، تعني إلحاحية شحذ الطاقات حتى تكونوا سندنا الأكبر، الذي هو الوقود الذي تحتاجه طائراتنا، والتموين الذي تحتاجه فرقنا العسكرية، والعربات لنقلهم فالإمكانيات تتقلص، والتعاليق المشككة تصعد إلى .إلى مواقع المعارك الشفاه، وأنا أقمعها بأن أقول لها: «فكروا في الحرب». إن القيود تزداد، وحاجيات البقاء تتعاظم، بينما قواتنا هناك، لا تتوفر سوى على القليل، .«وأقل ما توفره لنا الحياة هنا، هو ترف لهم هناك، ف «فكروا في الحرب
إنه يكفيني هذا التذكير، حتى تفطنوا إلى ما أقصده، وتتفهموني. وأمريكا تقدم لنا هنا المثال الحي. فكل الرسائل التي ترد علي من هناك، من وراء المحيط، تشيد بحيوية وانخراط ذلك الشعب الأسطوري في الدعم. ويحدث أنه الحارس الأمين القيم على الآليات وكلفتها، بشكل صارم، لأنه لا يقبل أن يضيع ولو غرام واحد أو لتر واحد أو سنتمتر مربع واحد من واجبات دعم الدفاع الوطني، أو ما فيه المصلحة العامة. خاصة ما يتعلق بنقل تلك الآليات ورجالها، الذي هو في المقام الأول. إننا شهود، جميعنا هنا، على نموذج لذلك، والذي نتقبله ونرضاه وأعيننا مصوبة صوب الراية ذات النجوم، أول راية للحرية، المرفرفة على العالم الحديث وهي تخاطبنا

.«قائلة: «إنهم قادمون حاملين معهم النصر
وأي نصر ذلك، غير التحرير من الكابوس الممط لحشد لا يؤمن سوى بالقوة العنيفة (الهمجية) والقمع. والذي حين ستنتصر الإنسانية عليه، ستواصل مسارها السلمي، لإنجاز مهام تقدمها المادي والروحي والإجتماعي، التي هي «خطوات النجم»، النجم المتلألئ الذي قاد من قبل المهاجرين من مختلف الأمم، والذي يقود اليوم شعبا بكامله عبر المحيطات.
.عاشت الولايات المتحدة الأمريكية

:هامش

أندري تارديو، كان في بداياته صحفيا، من مواليد 1876، وتوفي سنة 1945 ، حيث يعتبر من أوائل الصحفيين الذين اشتغلوا سنة 1901 بجريدة لوفيغارو» الباريسية، ثم بجريدة «لوطون»، التي تخصص فيها بقسم » القضايا الخارجية والدولية، ما بين 1903 و 1914، وهي الفترة التي زار فيها المغرب سنة 1913 وأقام به مدة طويلة، حرر فيها مقالات أسبوعية كان ينشرها بتلك الجريدة الفرنسية. قبل أن يعود إلى باريس ويلتحق بالجيش متطوعا للمشاركة بالحرب العالمية الثانية. ولقد تدرج في مهامه بها، حتى عين مفوضا عاما للعلاقات العسكرية الأمريكية الفرنسية سنة 1917، بعد دخول الأمريكيين بقرار من الرئيس ويلسون إلى تلك الحرب. وسيصبح المساعد الأول بعد الحرب للرئيس الفرنسي جورج كليمنصو، ومنسقه الخاص ضمن مفاوضات السلم بباريس سنة 1918. سيصبح رئيسا للوزراء بفرنسا ابتداء من سنة 1930، ثم رئيسا لفرنسا بالنيابة سنة 1932، بعد اغتيال الرئيس الفرنسي بمعرض الكتاب في الأسبوع الأول .من شهر ماي من ذات السنة
حضر إدوارد دوبيللي إلى المغرب بصفته ضابط مدفعية. لكنه سينجز بها أعمالا تقنية جليلة، من خلال مسؤولياته ضمن قطاع الأشغال العمومية

أجتاز لحظات قلق صعبة من مقاومة المغاربة لنا بتازة وملوية

الرباط: 14 يوليوز 1918

هنا، لم أقدم خطابا، بل أطروحة مطولة، بلغة حميمية، بجمل قصيرة
وإذ أقدم هنا نصها كاملا، فإنه اعتقادا مني، أنها عبارة عن جرد .تلغرافية
لحصيلة وضعيتنا في أيام حربنا الحاسمة. فالهجوم المضاد قد انطلق،
وأسباب الأمل تلمع في كل الجبهات. لكن علينا الإحتياط، في هذه اللحظات
بالضبط، من كل تفاؤل مبالغ فيه، قد يخلق تراخيا في القوى غير مقبول.
مثلما، علينا التحرك ضد عودة غلبة المصالح الخاصة، وضد عودة
المطامح الفردية، التي تولد عادة كلما طالت الحرب. فقد لمست بعض
ملامحها مؤخرا. ما كان يستوجب القطع معها والتحدث بصراحة. فقلت
:في تلك الأطروحة
أصدقائي الأعزاء،»
كما جرت العادة بذلك، ها نحن نلتقي في هذا اليوم، الذي يرانا فيه العالم
كله، نحن الفرنسيين متحلقين حول من نال شرف تمثيل أمتنا. ونحن في
حاجة لرص الصفوف أكثر من أي وقت مضى. ولقد احتلت كلماتكم مكانة
خاصة في قلبي، كونها تترجم صلابة الوحدة التي تلحم بيننا، وأيضا الثقة
التي تمنحونني. وما دمنا نحن مجتمعون بين أبناء فرنسا، لنستغل هذه
.الفرصة العائلية، ونتحدث بقلب مفتوح، ونقوم بمحاسبة ضمير لأنفسنا
لنقم، إذا سمحتم، باستعراض للحصيلة، من الوضعية العامة في البداية،
.إلى الوضعية بالمغرب، ثم نتخلص بضع خلاصات من ذلك
في ما يخص الوضعية العامة، فإني أضم صوتي لصوتكم، في ما يرتبط
بالأماني العظام المعبر عنها في كلماتكم، بشغف رفاقي. ولا يمكننا هنا
التعبير كفاية عن مدى تقديرنا للدعم الأمريكي لنا. لأنه، ها قد تم توقيف
هجوم العدو على أراضينا، في انتظار أن نقوم نحن بهجومنا المضاد، وهو
فالمعطيات كلها تفيد أن العدو يتراجع، ويفقد واحدة بعد .أمر وارد جدا
الأخرى، تلك الأسباب التي كان يعتمد عليها كثيرا. إذ منذ سنة انسحبت
روسيا، ولم تكن أمريكا قد التحقت بنا بعد في الحرب، ما جعله يجمع كل
قواته صوبنا، مراهنا على القضاء علينا. أكيد، أنه حاول ذلك، وأننا مررنا
لكن قادتنا وقواتنا، قد أبانوا عن .بأوقات عصيبة جدا، كلكم تتذكرونها

فسقطت حسابات العدو، وعززت .بطولة هائلة في المقاومة، غير مسبوقة أمريكا صفوفنا. مثلما تمت استعادة المبادرة على الجبهة الإيطالية، فتم استعادة التوازن. واليوم، بتوالي المراحل، نحن من يعلي من راية النصر، .ونحن من يربح ويستعيد أرض المعركة
لقد كنتم محقين تماما، حين قلتم، إنه بعد شهور من القلق، ها نحن نستعيد .فسحة أمل كبيرة
لكن دوري، يفرض علي، أن أذكركم أن لاشئ حسم بعد. وأن أنبهكم إلى الثمن الغالي لكل تفاؤل مبالغ فيه، مثل ما ظل يحدث معنا خلال السنوات الأربع الأخيرة. إن العدو لا يزال قريبا من باريس، وهي تحت تهديدات قصفه. الحرب هي الحرب، مع إمكانيات دائمة لعودة الهجوم. وإذا كنا لا نشكك في النصر النهائي، فإن ما يجب أن نحذره، هو تقليدنا الفرنسي الخاص، الذي يجعلنا نعتقد أننا فقدنا كل شئ، وأنه مع أول رنين لجرس الأمل، نسقط في وهم أننا حققنا النصر. لا، في الحرب، ليس هناك نصر وأنه حتى نحقق ذلك في وقت قصير، .نهائي سوى بعد أن تنتهي الحرب فإنه على قوانا وتضحياتنا الجماعية أن تظل متواصلة، في مختلف الوضعيات. خاصة وأن الحرب اليوم، لم تعد كما كان عليه الأمر سابقا، حرب جيوش، بل حرب شعوب، متشبعة بروح وطنية، في كافة أبعادها .الإقتصادية والصناعية والفلاحية

*****

ولأنتقل الآن، إلى الجبهة المغربية، لألتمس منكم، الآن أكثر من أي وقت .آخر، أن تدركوا جيدا الوضعية، حتى تقدموا كل جهدكم المطلوب فيها
لقد وجهتم تحية حارة إلى القوات التي تحارب فيه، لكن هل تعلمون أن تلك الجبهات لن تصمد بدون دعمكم وسندكم. وبالنسبة لي، أنا الذي أتجول بين الضفتين، بين جبهات القتال وبين المناطق المحررة حيث أنتم، فإنني أستشعر دوما إحساس حمام إنجليزي، كوني أعبر من مناطق حامية الوطيس إلى مناطق شديدة البرودة والهدوء. إني أؤكد لكم، أنه بين ميدلت وبومحيريز (1)، من جهة، وبين الرباط والدارالبيضاء من جهة أخرى، فإن وجهات النظر مختلفة، ووجهة النظر التي في مقدمة المواجهة والمعركة هي الأصوب. خاصة وأننا ندرك أن المعركة هناك، ليست معركة محلية محدودة، بل هي جزء من حرب شاملة. فعدونا الألماني، لم

يني ينفذ خطة عالمية تجعله يحاول ضربنا في كل الجبهات حيث له
المقدرة على التأثير علينا فيها. وفي شمال إفريقيا، فإن مجاله المفضل
الأوحد هو المغرب. لأنه هنا، فقط، لا تزال البنادق والأسلحة للمقاومة
ترفع في وجهنا، عكس الجزائر وتونس. مثلما أنه هنا، فقط، له مداخل
فعبر منطقة الشمال المغربي، المحايدة، التي لا يمنع عدونا .للوصول إلينا
من التواجد فيها، يتم تهريب كل شئ: أموال، منشورات دعائية، أسلحة
وذخيرة، وصولا حتى إلى رشاشات وقنابل وآليات عسكرية من أكثرها
.جدة، الفعالة في تدمير القناطر وأيضا خطوط التلغراف
إنني أتتبع، أسبوعيا، هناك، وصول آليات جديدة فعالة. وإني أخشى جديا
وصول ما هو أكثر حسما ضدنا (2). لقد وضعت أمامكم هنا خريطة
للمنطقة، حتى تدركوا حجم المخاطر الجدية التي تتهددنا. وهذا يقدم لنا
جميعا الدليل، على حجم الجهد المبدول من قبل الألمان لإدماج المغرب
ضمن استراتيجيته ويربطه ببرنامجه العام للتحرك. ولقد تحدث عن هذا
الأمر في الدارالبيضاء [يقصد أمام الأمريكيين]، وبعثت الوثيقة الأصلية
.إلى حكومتنا بباريس
(يتبع)

هامش:

ميدلت كانت تعتبر النقطة المتقدمة للمواجهة مع المقاومة الشعبية – 1
المغربية في أعالي الأطلس المتوسط، جنوب مدينة مكناس. فيما تعتبر
.منطقة بومحيريز، النقطة المتقدمة للمواجهة بجهة تازة شمالا باتجاه وجدة
يقول ليوطي في هامش خاص: «علمنا، عبر اعتراض مراسلات – 2
سرية، قرب وصول طائرات ألمانية عند قبائل الشمال بالمنطقة التي تتبع
.«للحماية الإسبانية، والتي لسنا معها على ما يرام

أموال وأسلحة ألمانية بتازة وإيتزر قرب ميدلت

الرباط: 14 يوليوز 1918(تتمة)

كان الإستعداد للقيام بالهجوم الألماني بفرنسا، يوم 28 ماي (1918).
بينما أربعة أيام قبل ذلك، هنا بالمغرب، يوم 24 ماي، وقعت بين يدي رسالة مكتوبة باللغة العربية، قادمة من شمال المغرب، موجهة إلى المنشقين المغاربة بوسط البلاد وجنوبها. كانت تقول بالحرف: «سيتجدد الهجوم الألماني يوم 29 ماي، ها هي تعليمات السلطات الألمانية». وتبعا للأوامر الصادرة، عليهم التحرك بشكل جماعي، في توقيت محدد سلفا، حتى يكون الجهد الموجه ضدنا هنا، متزامنا مع ذاك الذي ستبدله ألمانيا على الجبهة الفرنسية.والحال، أنه لا أحد منا هنا، كان يعلم شيئا عن الهجوم الألماني بفرنسا. فكنت أربعة أيام قبل الموعد المحدد بلغتني تلك المعلومة، فكان أرسلت تلغرافا سريعا إلى باريس، قلت فيه: «أكيد أنكم على علم بالأمر، لكن واجبي يفرض علي إخباركم».ثقوا، أنه لكوننا في خضم عائلي بين فرنسيين أبوح لكم بهذه المعلومات، التي لن أسمح أبدا بنشرها، ولا بإخبار الأهالي المغاربة بها، أو أي أجنبي بهذه البلاد، حتى لا نحرق سبق المعلومة التي نتوفر عليها، ونمنحهم فرصة تدارك الأمر.
إن الأساسي، هو أنهم عليكم أنتم، أن تدركوا أنه بالنسبة لأعدائنا، فإن إنهم على علاقة مع كل .الجبهة في المغرب وفي فرنسا هي واحدة الزعماء الكبار، الذين نواجههم هنا، ويقدمون إليهم التوجيه والتعليمات.
إذ، خلال هذه الأيام، بمنطقة «إيتزر» (1)، حصلت على رزمة من الرسائل، تمكن رجال مخابراتنا من وضع اليد عليها، بعضها قادم من الشمال وبعضها قادم من الجنوب. كانت تضم شيكات بنكية، بعضها فرنسي، مهربة من المنطقة الإسبانية بالشمال، وبعضها إسباني آتية من الجنوب. وتتضمن، خصوصا، رسائل إلى عشر شخصيات مختلفة، لكنها تتضمن نفس القرار الموحد إليهم جميعا، المتمثل في تنسيق المواقف ضدنا، وفي المقام الأول تفجير معبر تازة الحيوي، وأيضا استعادة الممر بين مكناس ونهر (1917)الحيوي، الذي وضعنا عليه اليد السنة الماضية ملوية، والذي فصل في الوسط بين كتلة المنشقين. ذلكم، هما الهدفان اللذان يراهنان عليهما بكل قوة والتي سيوحدان جهودهما من أجل تجديد استعادتهما. بالتالي، فإن كل ما أملكه من قوات حاليا، قد وضعتها هناك

في تلك المنطقتين.بخصوص معبر تازة، فأنتم تعلمون ما أنجزته هناك قوات الجنرال «أوبير»، التي طردت عبد المالك صوب الشمال. بالتالي فهو معبر محرر تماما. لكن، في ما يخص معبر المنطقة الوسطى، بالأطلس المتوسط، الصعب كثيرا، الكثيف الغابات، بصخور ناتئة، فإن المنشقين المناوئين لنا، قد نجحوا يوم 12 يونيو من قطعه مجددا. وكان على الجنرال «بويميرو»، أن يقود قواته في معركة بطولية يوم 19 يونيو لإعادة فتحه، بواسطة حراب القناصة. لقد خسر فيها الكثير من الرجال، لكن المهاجمين المنشقين قد تلقوا هزيمة، ستجعلهم يركنون للهدوء مدة طويلة، والطريق اليوم سالكة هناك. ولقد حكى لي الجنرال بويميرو» حين التقيته هناك بعد أيام من المعركة، أنه اجتاز أياما جد » مقلقة، كونه كان متخوفا من تحقيق نصف نصر فقط، مما كان سيضطره إلى تكرار الهجوم، مما كان سيضاعف من خساراته البشرية، ما يعني شبه خسارة للمعركة وللمعبر.لقد خسرنا خلال شهر يونيو الماضي، 14 ضابطا، بين قتيل وجريح، وهي حصيلة مماثلة لما خسرناه في فرنسا أمام الألمان. وجهد خصومنا لن يتعب أو يلين، حتى نهاية الحرب.لقد اطلعت في الرسائل التي وقعت بين يدي، على تعليمات قادمة من أروبا، من العاصمة الألمانية برلين، عبر سفراء مبثوثين بين برلين والمغرب. وما قرأته فيها يمكن تلخيصه كالآتي: «لا تيأسوا، حين تواجهكم خسارة بعدها، تأتي .«ما، سنبعث لكم المزيد من الأموال والسلاح والتوجيهات معلومات عامة عن الوضعية في أروبا، التي طبعا تقدم فيها الصورة على أننا الخاسرون المنهزمون، فباريس قصفت، واندحارنا وشيك. هكذا، فكلما أنزلنا بهم هزيمة (المغاربة)، ونتوقع كما جرت العادة من قبل أن يطلبوا منا قبول استسلامهم. فإنه لاشئ من ذلك يحدث، لأن العملاء الألمان هنا لإعادة شحذ هممهم وإقناعهم بقرب هزيمتنا النهائية. والعملاء الألمان هم بالعشرات عند عبد المالك، يؤطرون رجاله ويوجهونهم.إن ما أريد أن أحملكم عليه، من خلال حديثي معكم بهذا الوضوح، هو الإقتناع بأهمية مواصلة المجهود الحربي هنا، إلى آخر رمق. مثلما أنني أردت أن أشرح لكم من خلال ذلك، السر في عدم تواجدي معكم منذ مدة، لمباشرة حل مشاكلكم. لأن مهمتي المركزية الآن، هي أن أكون في موقعي الطبيعي، كقائد، في مقدمة جبهات المواجهة. لأنه هناك يلعب مستقبل

المغرب ومستقبل أمنكم. لأنه علينا المقاومة مهما كلفنا ذلك، وأن لا نفرط في أي شبر من الأرض حصلنا عليه. ولعلكم تتذكرون ما قلته لكم، سنة 1914: « إذا كنا سننسحب، فإننا خاسرون ضائعون. وأنه كلما فرطنا في مساحة معينة، بدعوى أننا سنعود لاستعادتها في ما بعد، فإن ذلك سيكون مثل كرة ثلج، تزداد كبرا فقط». وذلك ما أعيد التأكيد عليه الآن أكثر.
لأنه إذا كان هناك منشقون يواجهوننا اليوم، فإنه علينا عدم نسيان من قمنا بتطويعهم أمس، والذين هم إلى جانبنا اليوم لأننا الأقوى، وأنهم في حال ظهر علينا أي ضعف أو تراخ، فإنهم لن يترددوا في الإنقلاب علينا والإصطفاف مع باقي المنشقين.علينا جيمعنا، نحن الحاضرون هنا، أن نكون قوي الشكيمة، بلا هوادة. وعليكم أن تدركوا أن كل المجهودات، سواء في مجال الأشغال العمومية، أو السكك الحديدية، أو التموين، يجب أن تتوحد في اتجاه الأمن والدفاع. لقد أخبرت البارحة إدارة الأشغال العمومية، بالحرف: «إن الأساسي الآن، هي طريق تازة وطريق نهر ملوية، ممراتها ونقط مراقبتها. هناك يجب أن تضعوا كل جهدكم وآلياتكم ورجالكم. وإذا قلتم لي: إننا سنضحي إذن بالطريق الفلانية الأخرى، والشطر الآخر هناك للسكك الحديدية، المنتظر إنجازهما في تلك المنطقة، فإنني أجيبكم: لا يهمني ذلك، فإذا كان ضروريا تأخير تنمية منطقة الغرب ومنطقة الشاوية، فإننا سنعود إليهما ذات يوم. تغاضوا عن كل ما هو غير عسكري. أيها المدراء المدنيون والعسكريون، كلكم مثلي اليوم، جنرالات من القيادة، في منطقة عسكرية، حتى نجناز هذه المرحلة الصعبة والدقيقة. فقواتنا التي تتضاءل يوميا، والتي ما عادت ترتاح، ستواجه معارك الصيف الصعبة، دون أن يكون في إمكاني منحهم أي عطلة، لأنه علينا أن لا ننهار». ولأن مصلحة الأشغال العمومية التابعة لي، تفهم الموقف واستوعبته، فإني غادرت أمس الأول، قصبة المخزن في الخامسة صباحا، وتمكنت أن أصل إلى مكناس في الخامسة مساء.
والحال أننا أصبحنا في قصبة المخزن فقط من 15 يوما، وأن العمل الجبار لأشغالنا العمومية، قد مكن من تجهيز معابر طرقية غير معبدة، في هذين الأسبوعين، مما مكننا من قطع تلك المسافة في 12 ساعة، بعد أن كان ذلك يستوجب 15 أو 20 يوما.والأساسي هنا، ليس أنني تمكنت من عبورها، بل هو في عبور الشاحنات بشكل منتظم، حاملة لتلك القوات

تموين سنة، بعد أن كانت في ما قبل تعاني من خصاص كبير. أي تلك القوات في تلك المواقع، التي تعيش في ظروف قاسية تحت الخيام، بدون أي إمكانيات للدعة ولدون موارد، والتي هي في حاجة لكل شئ. وكل من يعايشهم يدرك ضخامة حاجياتهم، ويدرك مقدار ما يستحقون وما هم ولنتأمل تفصيلا واحدا، لقد كانت تلك القوات بدون خمر، .محرومون منه وبفضل ذلك المجهود للتموين، سيحصلون على حصص ثلاث كل أسبوع. وأنتم الذين هم هنا، غير المعنيين بفقدان كؤوس خمركم، افهموا أنه من حق الآخرين ما هو متوفر لكم، وأي جهد تبدله كل المصالح في هذا البلد المحتل، الصعب الإختراق، والذي لاشئ كان متوفرا فيه، حتى تبعثوا المساعدة لأولئك الذين يقدمون صدورهم لحمايتكم.(يتبع)هامش:-1 بلدة إيتزر، هي بلدة غنية فلاحية وبالمياه. وهي منطقة نبع نهر ملوية، الذي يقطع انطلاقا من جبل العياشي، قرب مدينة ميدلت، بالأطلس الكبير، مسافة 587 كلمترا، كي يصب في البحر الأبيض المتوسط عند منطقة السعيدية

من يكون في السلطة وهمه شعبيته، لا يستحق أصلا القيادة

الرباط: 14 يوليوز 1918
(تتمة)

إنكم تدركون مقصدي إذن. إن روح المعركة، كما هو متواجد في الجبهات، يجب أن يكون هنا أيضا. إن ما أطلبه منكم، هو أن تكونوا

منخرطين في قلب الحدث. إني أعترف أمامكم، كلما عدت من الجبهة، إلى هنا، أشعر بالغثيان من حجم الحسابات الخاصة الطاغية. إنني حين أغادر تلك المناطق حيث قواتنا تقاوم بالقليل، وحيث همهم الأكبر هو إعلاء راية الوطن، وآتي إلى هنا، أصاب بالعي حين أجدني غارقا في قصص قلة الربح وتراجع نسبته، وتأخر إنجاز المشاريع التي يمكنكم التجاوز عنها كونها ليست من الأساسيات، مما يجدني أمام أناس بؤساء ضعاف النفوس في أوقات صعبة مماثلة. ليذهب فكرنا دوما، صوب أبنائنا الذين يضحون بحياتهم هناك.

إن أطرنا في مقدمة الجبهات، من ضباط وضباط صف، ضمن الوحدات الميدانية العاملة هناك، كلهم من جيش الإحتياط، الذين تركوا بدورهم في فرنسا مصالح هامة لهم، وهي مهددة في بقائها بسبب غيابهم. ورغم ذلك، فإنهم منخرطون في المعركة متناسين كل ما تركوه وراءهم. وأنا أحمل معي الكثير من تفاصيلهم، التي تنعش القلب فعلا. مثل قصة ضابط من جيش الإحتياط، في الأربعينات من عمره، يقود مجموعة من القناصة، والذي يمتلك في فرنسا معملا صناعيا مهما. لقد راسلوني من باريس، ليحدثوني حول أهمية مؤسسته الصناعية ضمن نسيجنا الإقتصادي، وكيف أنها تعاني كثيرا بسبب غيابه، ولقد طلبوا مني الإذن له بالعودة لشهور فقط. ناديت عليه، وقلت له: «تمة مصالح أخرى هامة هناك في فرنسا، وهي حيوية جدا للبلد، تقتضي تواجدك هناك. خد 3 أو 4 أشهر ثم عد إلينا بعد ذلك». فكان جوابه: «لا جنرال. ليس هناك مجال لأية مصالح ذاتية ومهما كانت حيوية بالنسبة للبلد، فإنهم سيجدون، هناك، بديلا عني. ربما سأفلس بعد الحرب، لكن لدي هنا وحدة علي قيادتها، وسأقودها حتى النهاية». (1) (لقد قتل منذ أسبوعين بمنطقة بومحيرز).

إن رجالا من طينته، ما عدت أحصيهم من كثرتهم. كنت مؤخرا أتجاذب أطراف الحديث مع عدد منهم، في النقط المتقدمة للجبهات، تحت قيادة الجنرالين أوبير وبوريميرو. كلهم خلفوا وراءهم في فرنسا بيوتا مغلقة ومصالح حيوية كثيرة تعاني بسبب غيابهم، وليس لهم حق الزيارة سوى شهرا واحدا في السنة، ضمنه أيام السفر ذهابا وإيابا. رغم ذلك، كنت أجدهم كلهم بمعنويات مرتفعة، وإحساس رفيع بأداء الواجب، ويؤكدون: «نعم، مصالحهم في خطر. ليس مهما، المهم الآن هو عظمة فرنسا،

ومكاننا هو في الجبهة». إني أترك لكم تخيل أسباب حنقي، حين أغادر أجواء مماثلة، كي ألتقي، هنا، بعضهم الذين لا هم لهم سوى الربح والصفقات. ولقد وقعت بين يدي مؤخرا، بالصدفة، رسالة موقعة بواحد منكم، بل من كباركم، حيث كتب يقول: «رغم كل ذلك، هناك نقطة لا يجب أن نغفل عنها، تلك الخاصة بمحافظ النقود». نعم، صدقوني، قرأت ذلك، ولقد تصاعد الحنق إلى حلقي.

صحيح، وعلي أن أؤكد على ذلك، هذه حالات قليلة واستثنائية، فالأغلبية ضمنكم لا يقبلون أمورا مماثلة، وأنا أقرأ ذلك في أعينكم الآن. بل، أستطيع أن أقدم لكم نماذج من ضمنكم، مثل السيد «بيرنودا» (2)، الذي لم يتعب أبدا من إلحاحه علي أن أرسله لمكان آخر في المقدمة، رغم سنه المتقدم، ورغم حيوية مكانته ضمن المؤسسة التي يعمل بها. وكثيرة هي الأمثلة في هذا الباب. نعم، إن الجاهلين منكم، ليسوا سوى قلة، وأنا ما يهمني هو أن أخاطبكم أنتم الأغلبية التي تفكر مثلي، والتي عليها أن تقول رأيها عاليا وأن تفرض احترام القانون. للأسف، فالأغلبيات دوما ما تخجل من القيام بذلك.

لأقدم لكم مثالا. فخلال مقامي بباريس لأسابيع، لزيارة الوزارة، صدمني أمر مثير، حد الحنق، فبديوان الوزير قدمت لي الصورة الصحيحة الكاملة، معلومات وواقعا، مسنودة بروح تعبئة وطنية عالية. وفي الغد، بمجلس النواب، في جلسة عمومية، اختفت تلك الروح. حيت استمعت لذات الرجال يقولون كلاما مناقضا تماما، لأن الهم الوحيد الطاغي حينها هو هم إعادة انتخابهم. وحين عبرت عن غضبي من ذلك، ردوا علي بما يشبه الشفقة: «ما الذي تريده، إنها ضرورات النظام الديمقراطي».

اسمحوا لي، أنا ضد ذلك المنطق، فالديمقراطية لها شرفها. قد يقول بعضهم إن أمريكا غير ديمقراطية وأن إنجلترا ليست كذلك تحت تاجها الملكي. لكن أنصتوا لزعمائهم السياسيين، فهو خطاب رفيع ونموذجي، لأنهم مؤمنون أن لا حاجة لديهم لترضية رأيهم العام ونفاقه. إن نبرة خطابهم قوية، بل عنيفة أحيانا، وهم على حق في ذلك، لأن مهمة القائد ليست في أن يتبع الريح حيث تريد، بل على العكس من ذلك، مهمته هي أن يقود، أن يوجه، أن يحدد الهدف. تلكم هي الحقيقة الديمقراطية. بل، سأضيف، إن ذلك واجب في الديمقراطيات أكثر من غيرها، لأنه بفضل

أن الجميع يشارك في السلطة، فهي في حاجة، أكثر من أي نظام سياسي آخر، أن يكون الرأي العام منخرطا. وحين نخاطبه بالخطاب الواجب للحقيقة، فإنه يتفهم الأمور أفضل.
إن من أفضع الأمور، هنا، هو تصور أننا حين نكون في حال مع الذئاب وفي حال آخر مع الخرفان، سنغري الرأي العام وسنرضيه وسيجعلنا شعبيين لديه. علينا أن نعلم، أن من يبقى في السلطة وهمهم هو شعبيتهم، لا يستحقون القيادة. إن ما يجب دوما الإنصات إليه، هو ضميره، وواجبه إزاء بلده، وإزاء نمائه وتقدمه، بدون انتظار التصفيق من أحد. لهذا أخاطبكم بهذه اللغة، حتى تنقلوا ما أقوله للجميع. وأنا في ذلك متصالح مع واجبي الذي تفرضه علي سني، ومهمتي والأدوار التي قمت بها والتي لا أزال أقوم بها الآن، تأسيسا على المعرفة الشاملة بالأوضاع، التي تهبها لي هذه المهمة.
(يتبع)

هامش:
1- هو جبل بومحيرز، شمال مدينة تازة، في الطريق إلى منطقة جرسيف. ويقع في منطقة حيوية لفتح الطريق مع وجدة والجزائر.
2- هو عميد المعمرين الفرنسيين بالرباط، موظف ب «الشركة العامة المغربية».

لماذا نحن الفرنسيون ننتقد ونتفه كل شيء؟

الرباط: 14 يوليوز 1918 (تتمة)

كنت، منذ أيام، بالجبهة شمال فاس، ولمست مدى حيوية المساعدين العسكريين القادمين من فرنسا (1)، بذات الروح التي حكيت لكم عنها. توجهت، بعدها، لمقابلة المساعدين العسكريين المقيمين بالمغرب، فقام هؤلاء، الذين أعرف أغلبهم، بالحرص على الإنفراد بي، كل لوحده، كي

يقولوا لي ذات العبارة: «كان مفروضا أن أحصل منذ شهر على رخصة عطلة، وأنا أمتلك ضيعة فلاحية لن أجني منها سوى نصف الأرباح التي كنت أجنيها منها حين كنت أشرف عليها بنفسي مباشرة». لم أكن أسمع منهم غير مثل هذه الشكوى. فكان أن جمعتهم كلهم، وألقيت فيهم كلمة غاضبة، قلت لهم: «ألم يترك، جيرانكم وزملاؤكم، من المساعدين العسكريين القادمين من فرنسا، هناك هم أيضا ضيعاتهم الفلاحية وأعمالهم، وحدائق عليهم رعايتها وتشديبها؟». ثم عدت ساعات بعد ذلك، حيث قلت لهم بلغة أخف: «لقد فهمتم قصدي في ما أتصور؟». وفعلا كلهم فهموا غاياتي، وعادت لهم الإبتسامة. وكلهم أجابوني: «كنتم على حق تماما في تنبيهنا وهزنا بذلك الشكل. كنا على خطأ. وكنت محقا في انتقادنا، .«ولن يتكرر ذلك

هناك أمر آخر، أود أن أنبهكم إليه، إنها الإصرار على تخصيب النقد المسبق ضد مصالحنا الإدارية، المتهمة دوما عن ظلم، بينما أنا شاهد على مدى الجهد الجبار الذي تبدله لتنفيذ الأوامر كلما صدرت إليها. صحيح أن هذه رياضة وطنية عندنا في فرنسا، وهذا سبب كاف كي أناشدكم أنتم أبناء .فرنسا الجديدة، أن تقفوا ضد هذا التقليد العام عندنا

إنني عندما، جلت العالم منذ 25 سنة، قدم لي خبير مجرب في وضعيات مماثلة نصيحة بليغة، حيث قال: «حين تلتقي إنجليزيين تجدهما قد أسسا وحين تلتقي ألمانيين، تجدهما قد أسسا ناديا. وحين تلتقي .تجمع شركات فرنسيين، ستجدهما يتدافعان ويتهم واحدهما الآخر». للأسف، تلك حقيقة صادفتها مرارا، أينما قادتني الأقدار. لأحكي لكم هنا، تجربة منجز فرنسي عشته باعتزاز. كان إنجليزي قد قال لي عنه: «هنا، حيث إنه كما لو أننا في وطننا، لم يكن واردا لنا أبدا أن نقوم بحجم ما أنجزتموه. وهي تجربة لا يمكن إلا أن نتخذها مثالا لنا. وأنا سعيد أن أشهد لكم بذلك من موقعي كإنجليزي». بعدها بلحظات كنت مدعوا للغداء عند مواطن فرنسي. كنت منتشيا، وعبرت له عن إغتباطي بما شاهدته من منجز فرنسي. فكان أن رد علي بسرعة وبشكل جاف: «كل ذلك لاشئ، إنه مجرد واجهة للتزيين، لا شئ صلب. آه، لو كنت أنا من كلفت بإنجاز ذلك». وتصوروا أنه كان .بيننا أجانب يستمعون إلى ذلك. لقد علتني حمرة خجل

إنها حالات كثيرا ما أواجه مثلها هنا كثيرا. وما كنت لأتوقف عندها، لولا

أنها سبب مثبط للعزائم والقوى، ولولا أثرها السلبي على الأهالي المغاربة وعلى الأجانب الذين يستمعون لأمور مماثلة. وأيضا لولا، الإحباط الذي يبعثه ذلك في كل مسؤول قائد بإدارتنا. حين نوقن، أنه مهما فعلنا ومهما كانت أهمية ما ننجزه ونقوم به، فإن سيف النقد هنا لتتفيه ذلك. حينها لا نستطيع، إنسانيا وطبيعيا، التخلص من الإحساس باليأس. لقد قال لي مؤخرا، إنجليزيون وأمريكيون، بالحرف: «جديا، ليس لنا ما نقوله حول حجم ما تم إنجازه هنا، في وقت قياسي». ولم أستطع أن أمنع نفسي من أن أجيبهم: «اذهبوا وأقنعوا أبناء بلدي بذلك. لأنه مع الإستماع لبعضهم وقراءة بعضهم، فنحن نتوفر هنا على أسوأ إدارة وأبطئها. مما يعني أننا لم لكن، مهما كان، كيف يمكن » :نقم بأي شئ». لكنهم يردون علي قائلين نكران 1500 كلمترا من الطرق المعبدة المنجزة خلال أربع سنوات. والموانئ في قمة أشغالها وتوسعتها رغم ظروف الحرب. والضيعات .«والتعاونيات الفلاحية قد خرجت من العدم

إنني موقن، أنه الرأي الخاص لكل واحد منكم. فقط، حين نلتقي ونجتمع (نحن كفرنسيين) نشحد السكاكين، واسمحوا على هذا التعابير، فإن رياضتنا الوطنية تتغلب. وهذا ما يجعل مهمتنا صعبة بل متعبة فعلا. لأن رؤساء المصالح، مثلي، هم في حاجة في مهامنا الثقيلة، إلى الدعم الذي يجعلنا نستشعر أننا مسنودون نفسيا وماديا. إن التحديات كبيرة أمامنا، .وعلى الجميع أن يضع يده في المعمعة

ها أنا قد أفرغت عليكم قلبي. والأمر لا يتعلق بشخصي فمهامي تفرض علي أن أكون فوق كل شكوى. بل إن الأمر يتعلق بمساعدي وبقواتنا، الذين علينا أن نخصهم بدعمنا مهما كانت الظروف وفي كل الحالات. ليس فقط من أجل أن يواصلون ذات العطاء بسخاء وقوة، بل لكي يقوموا بذلك .بإحساس بالإنصاف، حين يستشعرون أنهم مسنودون من خلاف

لقد خاطبتكم بصراحة، مباشرة وبقلب مفتوح. والدليل على الإحترام الواجب اتجاه من نقودهم، ليس أن نتزلف إليهم، بل أن نخاطبهم بلغة الحقيقة، وأن ننقل إليهم الوقائع كما هي. إني أعلم مدى تقديركم لي، وأنا ممنون لكم بذلك، وهو تقدير متبادل من جهتي أيضا. فكلكم سندي. لهذا السبب خاطبتكم بهذه الطريقة وبهذه اللغة القاسية، لأنني أريد منكم أن تنخرطوا بالكامل في الأمر وأن تنقلوا ذات اليقين والرجاء للآخرين.

ولست نادما أنني أبقيتكم هنا كل هذا الوقت، حين سألمس غدا سواء هنا أو بالدار البيضاء، أنكم تفهمتم مقصدي، وأنه أمام التحديات التي تنتظرنا في الشهور القادمة، التي ستحدد مصير فرنسا وأيضا مصير المغرب، سنشكل جميعنا فريقا واحدا موحدا، معي ومع مساعدي ومصالحي ومع قواتنا، سواء بالقوة أو بالفعل.

هامش:

1- شكل هؤلاء المساعدون العسكريون، البالغون من العمر ما بين 35 و 50 سنة، دعما مهما للجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى، وأيضا في العديد من مستعمراتها التي كانت تواجه فيها مقاومة مسلحة مثل المغرب. مثلا لم تكن هذه القوات المعروفة ب «les territoriaux» أو «Pépères»، متواجدة بالجزائر وتونس، لعدم وجود مواجهات عسكرية حينها ضد القوات الفرنسية الإستعمارية.

استسلموا لنا أيها المغاربة فنحن المنتصرون الفائزون

فاس، يوم 6 غشت 1918

بدأت تصلنا أول الأخبار عن نتائج الهجوم الكبير (ضد الألمان) من فرنسا. وكان مهما استغلالها، بدون إبطاء، في العلاقة مع الأهالي (المغاربة)، خاصة الذين لا يزالون يقاوموننا. فوجهت إليهم هذا الإعلان، الذي تم تعميمه بينهم من قبل رسلنا. يقول ذلك الإعلان:

إلى الشعب المغربي
تغرق ألمانيا وتركيا، المغرب، منذ ثلاث سنوات، برسائل وجرائد كاذبة. »
فمنذ ثلاث سنوات، وهم يحكون لكم عن انتصاراتهم الوهمية على الأرض وبالبحر. ومنذ ثلاث سنوات، وهم يقدمون المال لمن يوصفون على أنهم قادتكم، عبد المالك، موحا وسعيد، الهيبة، الريسولي (1)، حتى يدفعوا بكم للهجوم على مواقعنا، مما يتسبب في مقتلكم عبثا بفضل مدافعنا ورشاشاتنا. آه، أيها القوم السذج، الذين يتوهمون أنهم يقومون بالحرب المقدسة تحت الراية الألمانية.
إن هذا الخطل وهذا الدجل، قد طال أكثر من اللازم. ولقد هرقتم دماء غزيرة من أجل قضية خاسرة. اليوم، هاهي فرنسا وحلفاؤها يحتفون بنصرهم الكبير. فمنذ شهر، وألمانيا تتراجع منهزمة، تاركة بين يدينا أسلحة كثيرة وأسرى ومدافع وآليات حربية. وإني أهتبل المناسبة لأقول لكم الحقيقة كما هي، وأفتح عيونكم عليها.
في البحار، نحن السادة. فمنذ ثلاث سنوات، ما عاد الألمان يغامرون سوى مختبئين عبر غواصاتهم. ولا يهاجمون سوى من هم بدون قوة دفاعية، أي السفن التجارية المحايدة والسفن الطبية وبواخر الصيد. واليوم، فإن غواصاتهم أصبحت بدون تأثير، لأننا دمرنا أغلبها، وأيضا لأننا أصبحنا نصنع أكثر من السفن في اليوم، رفقة حلفائنا، بالشكل الذي لا يستطيعون القضاء على كثرتنا ولو في شهر. مثلما أن أسطولهم التجاري قد دمر بالكامل، وبقيت سفنهم العسكرية خائفة، راسية في موانئهم.
على الأرض، انتظم الحلفاء، الذين يوجهون دوما تحية تقدير واعتزاز لبسالة قواتنا الفرنسية وقائدها، بكل قواتهم تحت رايتنا المشتركة الموحدة، التي يقودها جنرالنا الفرنسي «فوش». بينما في الشمال يحصد الإنجليز الرجال والأسلحة والمدافع. وفي الجنوب حقق الإيطاليون نصرا كبيرا، ما ترك الألمان مجرد فريق تائه وضعيف. وفي هذه الأثناء ظل يصل إلى شواطئنا يوميا، ما مجموعه 10 آلاف جندي أمريكي، ولقد اجتاز المحيط حتى الآن أكثر من مليون جندي أمريكي، وسيصلون إلى مليونين خلال الشهرين القادمين، وقد يصلون إلى 10 ملايين إن اقتضت الضرورة ذلك [هذه أرقام مبالغ فيها من قبل الماريشال ليوطي]. وهو يصلون في وحدات منظمة ومجهزة، شابة، شرسة، مزودة بأسلحة مهمة وبآليات أكبر بكثير

من التي عند أعدائنا مجتمعين. بينما الألمان ما عادوا يدفعون صوبنا سوى بقوات منهكة وكبيرة في السن، والتي هي تحارب منذ أربع سنوات محرومة من الأساسيات الواجبة للحرب.

إن المجاعة تظلل كل مناطقهم، وكذا العوز والفوضى. متبوعة بالإنتفاضات والإضرابات من كل جهة وصوب. لقد أصبح النموذج الألماني بغيضا عند الجميع.

تلكم هي الحقية، يا مغاربة.

مهم أن تعرفوها، حتى تفكروا مليا، وتتوقفوا عن الإنسياق وراء من يكذب عليكم، ووراء قادة طموحين تدفع لهم ألمانيا المال.

إن من سيلتحق بنا منكم، سنمنح السلام والنماء.

وكل الذين سيعترفون بأنه غرر بهم، نلتزم لهم بالعفو والنسيان والتجاوز.

أما الذين سيواصلون المواجهة، فإننا نبشرهم أنه لم يعد لهم ما يعولون عليه من دعم ألماني. إن هزيمة ألمانيا مؤكدة ووشيكة، وأننا لن نرحم من سيواصل معركته ضدنا.

سيجدون غدا، أمامهم، فرنسا متحررة من كل أسباب القلق، أقوى من الأمس، عازمة على أن تجعل القانون والعدل ينتصر ويسود بالمغرب، تحت حكم السلطان (مولاي يوسف) وفي احترام تام للإسلام.

أسرعوا، إذن، في الإختيار.

هامش:

(1) الأسماء التي يقصدها الماريشال ليوطي هنا، هي أسماء وطنية مغربية وجزائرية قاومت بشراسة دخول القوات الإستعمارية إلى المغرب في المرحلة ما بين 1912 و 1926. وهم موزعون على مناطق جغرافية مختلفة من المغرب.

عبد المالك، هو الأمير عبد المالك الجزائري إبن البطل الجزائري الأمير عبد القادر الجزائري، الذي قاد المقاومة المسلحة بالشمال المغربي بين 19121924 و، هو الذي كان قد التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر، ويعتبر هو المؤسس الفعلي لجهاز المخابرات العسكرية الجزائرية، قبل أن يعين بطنجة المسؤول عن الشرطة بها سنة ، بعد معاهدة مؤتمر الجزيرة الخضراء الخاص بالقضية المغربية 1906. لكنه سيرتبط بالمخابرات

الألمانية ضد فرنسا، وسينتقل إلى منطقة الريف بدعم ألماني، خاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914، لقيادة المقاومة هناك.
أما الشهيد موحا وسعيد، فهو بطل مقاومة جبال الأطلس المتوسط بقبائل زيان الأمازيغية المغربية. كان قائدا من قياد المخزن، وممن دافعوا عن السلطان مولاي عبد العزيز. مثلما أنه قاد المقاومة المسلحة بالأطلس المتوسط ضد الإحتلال الفرنسي، انطلاقا من قصبة تادلة، وكبد الجيش الفرنسي عشرات المئات من القتلى بين ضباط وجنود، قبل أن يسقط شهيدا سنة 1921. ومن أشهر تلك المواجهات المذلة للفرنسيين ولليوطي شخصيا، معركة الهري يوم 13 نونبر 1914، التي سقط فيها قتيلا 623 ضابطا وجنديا فرنسيا وسينغاليا، فيما سقط من الجانب المغربي 182 مقاوما.
ج- أما الهيبة، فهو المقاوم البطل من الصحراء الغربية للمغرب، الشيخ أحمد الهيبة إبن الشيخ الهيبة ماء العينين، مؤسس زاوية ومدينة السمارة بالصحراء المغربية، والذي قاد المقاومة بالجنوب سنة 1912، وحرر كامل الجنوب المغربي ودخل مدينة مراكش وحررها، ثم اتجه على رأس قواته العسكرية من المقاومين المغاربة من الصحراء وسوس الأمازيغية، صوب الرباط لتحريرها، لكنه انهزم في معركة شهيرة بمنطقة سيدي بوعثمان شمال مراكش يوم 6 شتنبر 1912. فنزل بقزاته إلى منطقة سوس وبقي يقود المقاومة هناك، بشراسة إلى حدود سنة 1920 سنة وفاته، ليتزعم اتلك المقاومة حتى سنة 1934، شقيقه الشيخ مربيه ربه وشقيقه الآخر الشيخ النعمة. ولقد حاول مبعوثون ألمان برفقة ترجمان تركي لقاءه بمنطقة أكلو قرب مدينة تزنيت بالجنوب المغربي سنة 1916، لكن الذي التقاهم هو شقيقه بأمر منه، وهو الشيخ النعمة.
د- فيما الريسولي، هو محمد بن عبد الله الريسوني (الشهير بالريسولي)، كان زعيم منطقة وقبائل جبالة بالشمال المغربي قرب تطوان وشفشاون وأصيلة وطنجة والقصر الكبير. وتعتبر سيرته خليطا من التمرد على السلطات المغربية قبل الإحتلال سنة 1912، ثم مقاومة المحتل الإسباني بعد تلك السنة، لمدة دامت 8 سنوات. مثلما اشتهر بعلاقاته القوية مع الإنجليز، قبل الإحتلال، ثم بعلاقاته مع الألمان بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914. مما جعل القوات الفرنسية بقيادة ليوطي، تتوغل في

، وانتصرت على قواته. هو الذي 1915المنطقة الإسبانية لمواجهته سنة
حاول قبل استعادة مدينة القصر الكبير لكنه انهزم أمام الجنرال الإسباني
مانويل سيلفستر، وهو ذات الجنرال الذي سيقتل إلى جانب عدد من
جنرالات إسبانيا في معركة أنوال الشهيرة سنة 1921 بقيادة الأمير البطل
محمد بن عبد الكريم الخطابي.

هزيمة ألمانيا وما كان علي القيام به بسرعة بالمغرب

هدنة يوم 11 نونبر 1918
الرباط: 12 نونبر 1918

(أمر عسكري عام إلى قوات الإحتلال (بالمغرب
منحت هدنة من 30 يوما لألمانيا بشرط الإعتراف بهزيمتها، والإنتصار
الساحق لقواتنا وقوات الحلفاء.
(لقد دقت ساعة التحرير (لنا) والإعتذار (من قبلهم.
كما قال لكم ذلك السيد رئيس المجلس، وزير الدفاع: «فقد شاركتم ببسالة
في صنع النصر. واستحققتم التقدير من وطنكم ومن العالم». فها هم رفاق
السلاح بفرنسا، يعيدون لها منطقة الألزاس واللورين، بينما أنتم في
المغرب، ليس فقط، أنكم أبقيتم على الوضعية كما كانت سنة 1914، بل
إنكم وسعتم من المناطق المحررة التي شملتها التهدئة فيه.
فتحت طقس قاس، محرومين من الحاجيات المادية والروحية، قمتم
بمقاومة صلبة وفي نكران للذات، بعيدا عن وطنكم، محرومين من الدعة
التي تنمحها الحرب فوق أرض الوطن، مزودين بالتشجيعات المتلاحقة.
وخلال الشهور الأخيرة، طلب منكم بدل مجهود مضاعف على كافة
الجبهات بالمغرب، ضد عدو كان يلعب آخر أوراقه. ولقد أبنتم عن طاقة
تحمل، عن شجاعة، عن نكران هائل للذات، وعن روح للإنضباط أعتقد

.أنني أكبر من يشهد لكم بها
.باسم فرنسا، التي أمثلها بقيادتكم، أتقدم لكم بالشكر
مهمتكم لم تنتهي بعد. فخصمنا هنا لم يضع السلاح بعد. فهو غير مطلع على حقائق أروبا، ولا يزال مشحونا بالتشجيعات التي ظل يتلقاها خلال الأربع سنوات الماضية. ولم يدرك بعد أن الأمور انتهت، وأن لاشئ في المستقبل سيخرج عن منطق قوتنا الغالبة. بالتالي، فالصلابة أمامه، اليوم، مطلوبة أكثر من ذي قبل.
.لا تتراخوا أبدا، قيد أنملة، عن حيطتكم وعن المهمة التي كلفتكم بها فرنسا
عليكم أن تضاعفوا من صلابتكم حتى تكسروا كل المقاومة. وكلكم تتذكرون أنه في المواجهة التي قسمت العالم، اعتبر المغرب رهانا أول لأعدائنا، وأن مدن طنجة والدار البيضاء وأكادير تقدمت أحداثها المواجهة الكبرى معه. وأن استسلامه النهائي والشامل يجب أن يضع نقطة النهاية لأحلامها في كامل القارة الإفريقية.
.إني أعول عليكم لإنجاز المهمة التي لا تزال على عاتقنا
الجنرال القائد العام
«ليوطي
.(إعلان إلى الفرنسيين (بالمغرب
.إلى مواطني بلدي»
وأنا أبلغكم بظروف الهدنة المفروضة على ألمانيا، فإن قلبي ينبض بذات الفرح الذي يجمعنا. فبعد الأربع سنوات الماضية، من المقاومة بدون كلل، بعد كل الأحزان والمآسي، بعد كل الخراب الذي وقع، بعد كل التضحيات المقدمة، بعد كل أشكال البطولة، فإن النصر يتوج عدالة قضيتنا، التي هي قضية كل البشرية.
إني أشكركم، على الدعم والإلتزام الذي وجدته فيكم، حتى أنجز المهمة التي كلفتني حكومة الجمهورية الفرنسية بها. فنحن نقدم لوطننا، مغربا، اتسعت فيه مساحات سيطرتنا، رغم انخراطنا في الحرب، وتعززت فيه أكثر.
بقي لنا أن نكسر ما تبقى من المقاومات التي تواجهنا، وأن نضاعف، أكثر فأكثر، من الإنكانيات الإقتصادية به، التي استفادت منها فرنسا كثيرا، ولا تزال أمامها الفرص أكبر للإستفادة منها.

.لنضع اليد في اليد، من أجل مهمة الغد
.«عاشت فرنسا، عاشت الجمهورية
.إعلان إلى الشعب المغربي
.لقد تمت هزيمة الألمان»
لقد وضعت أخيرا، السلاح، أمس 11 نونبر، بعد أن قبلت الإمتثال
.لشروطنا التي فرضنا عليها
.لقد أعادت لفرنسا منطقة الألزاس واللورين، وانسحبت من بلجيكا
ولقد تم دخول قوات التحالف إلى كل منطقة ألمانيا الغربية حتى نهر
ونحن نحتل كبريات المدن مثل «مايين» و «غوبلنتز» .الراين
و»كولون». مثلما سلموا لنا خمسة آلاف مدفع، وألفي طائرة، وخمسة
آلاف قاطرة، ومائة وخمسون ألف عربة قطار، وعشرة آلاف شاحنة،
.ومائة غواصة وأربعة عشر سفينة كبيرة
لقد تم تحرير كل أسرى التحالف، بينما نحن لا نزال نحتفظ عندنا
ولقد طوقنا حصارنا عليهم. وتم إلغاء الإتفاقيات التي وقعوها مع .بأسراهم
روسيا ورومانيا. فيما تستسلم قواتها التي لا تزال في إفريقيا الشرقية. ولقد
أعادوا لنا كل الأموال التي كانت في أبناك بلجيكا ورومانيا وروسيا. بينما
.تم إسقاط الإمبراطور غيوم من عرشه وهو الآن هارب
إننا إذ ننقل هذه المعلومات العظيمة إلى علم الشعب المغربي، فإنني
أشكره، باسم الحكومة الفرنسية وباسم الجمهورية الفرنسية، على الوفاء
الذي أبان عنه، تمثلا بموقف سلطانه مولاي يوسف. الذي أبان لقضية
فرنسا وحلفائها، خلال مرحلة هذه الحرب الطويلة والقاسية والرهيبة، عن
.وفاء بدليل مشاركة أبناء بلده في تلك الحرب جنبا إلى جنب مع قواتنا
إنه سينال جزاءه، بفضل تقته الراسخة في نصرنا، لأن السلام النهائي
الراسخ، سيضمن له حقه في التنمية والأمن أمام أعداء الخارج والداخل.
وكذا تنمية ثرواته، وسيسود النظام والعدل في احترام تام للدين
«.(الإسلامي) ومؤسساته
الدار البيضاء: 14 نونبر 1918
جوابا على تحلق الفرنسيين حولي بالدارالبيضاء، غداة إعلان الهدنة،
:((ألقيت فيهم الكلمة التالية
لست أعلم ما الذي تحملونه من كلمات في أفواهكم تودون نقلها إلي، »

مثلما أنني لست مهيئا أبدا للجواب عليها. والأمر كله ينعشني عاليا. إن الشهادة التي تحرصون على تقديمها حولي تجعل هذه الساعة، من أجمل ساعات الفرح وأكثرها تأثيرا علي، طيلة الفترة التي قضيتها هنا بالمغرب.
لم آتي اليوم إليكم كي أطلب منكم دعما وإنقاذا، بل أتيت فقط لأنصت لنبض قلوبكم بالتوازي مع نبض قلبي، وأنا ممنون لكل ما كنتم تنوون التفضل به علي. لست أعلم إن كنت أستحق ذلك، لكن ما أنا متيقن منه، هو أنه ما كان ممكنا لي القيام بأي شئ هنا، لولا دعم الجميع لي، ومن قواتي أولا، التي لن أجد أبدا العبارات للتعبير لهم عن امتناني لوفائهم وبسالتهم.
اقد اطلعتم على الأمر العسكري الذي وجهته لهم، وفهمتم مقاصده. لقد عانت قواتنا هنا كثيرا، وغير ممكن التوجه إلى فرنسا، دون أن نواجه بعدم إدراك لوضعيتهم وللتعليقات القاسية أحيانا. وكان ذلك من أفظع ما يمكن سماعه، بالنسبة لواحد مثلي مطلع على ما يقومون به، من خلال زياراتي لهم في كل المناطق، وأدرك شكل الحياة التي عاشوها بدون تشجيع، وبدون أن يزورهم ولو وزير واحد، أو شخصيات سامية أو أصدقاء. ولقد قادوا على كل جبهات هذا البلد القاسية التي تعرفونها، مواجهين بالبنادق والرصاص، ذات ما كانت تواجهه قواتنا على الجبهة بفرنسا. وبمقر نادي الضباط بالرباط، يوجد صف طويل من صور الضباط الذين سقطوا قتلى هنا بالمغرب خلال الأربع سنوات الماضية. وكل ما رآها لأول مرة يصاب بالذعر حين يكتشف كثرة قتلانا.
إننا حين نواجه أناسا يتحدثون عن المنتجع والكمائن هنا، فإن الحنق يتملككم. نعم، قواتنا عانت كثيرا هنا نفسيا. فهي تضحيات موجعو تلك التي تجعلك لست في الجبهة بفرنسا، وأن تواجه بنكران لما تقوم به من جهد هنا. وإنني أوجه تحياتي إلى السلطات العمومية التي قامت أكيد بما استطاعته. لكن ليس هناك ولا واحد من أعضاء الحكومة ممن حاولوا إنصاف قواتنا العاملة بالمغرب. لقد قرأتم جميعكم على الحيطان منذ شهر، الجملة الرائعة التي خصهم بها الرئيس كليمنصو. لقد فعل فيهم ذلك فعل السحر، وكنت سعيدا أن أنقل لهم مضمونها بنفسي.
لم يتم، في فرنسا، دائما تفهم الجهد الذي بدلتموه ولم يكونوا دوما يصدقون ما أنقله إليهم، حين أحكي عن أن الجميع هنا يقوم بواجبه العسكري. وأن المرء حتى وهو في موقعه المدني، في معمله، أو في ضيعته، فإنه كان

يقوم بمهمة عسكرية. لأن معمرا يحرس جيدا ضيعته، فإنه يعفيني من أن أبعث له 300 رجل من قواتي لحراسة منطقته. وأنه أمام الخصاص الضاج، بدلتم مجهودا عظيما للإبقاء على اقتصاد بلدكم مستفيدا من خيرات (المغرب). ثقوا أنني كنت وسأظل دوما شاهدكم وضامنكم مثلما قلت لقواتي أمس، عن قناعة.

إن وحدة القلوب التي تواشج بيننا، منذ 4 سنوات، والتي تعبر عن نفسها في هذه اللحظات، بفرح، هي بالنسبة لي الترياق المثالي والشامل والنافذ لكل ما نجحنا في إنجازه، وهي الضمانة على ما سنقوم به، ما دمت أحوز شرف التواجد بينكم.

(أرفع قبعتي) لكليمنصو، لفوش، لجنودنا، لقتلانا، لفرنسا ولحلفائنا».

في المغرب بعد الحرب

(1918- 1925)

يوم فقدت عين المخابرات التي كنت أنظر بها في المغرب

الرباط: 19 دجنبر 1918

توفي بالرباط، أسابيع قليلة بعد الهدنة، يوم 16 دجنبر 1918، «الكولونيل بيريو»، مدير مصلحة الإستخبارات وشؤون الأهالي، بسبب نزلة برد حادة، أصيب بها جراء تجواله الكثير في مختلف مناطق المغرب، كانت آخرها بمنطقة الغرب(1).
خلال مهامي الإفريقية، كان لي خلال 15 سنة السابقة (على المغرب)، بعين الصفرا (بالجزائر) ابتداء من فاتح أكتوبر 1903، أربعة مساعدين من الضباط الحميمين. أولهم، «هنري» الذي كان حينها قائد سرب للطيران الحربي، وأول قائد عام للقوات بعين الصفرا. ثانيهم، «بويميرو» نقيب الرماة،، الذي سيصبح ابتداء من سنة 1905، ضابطي الخاص المناوب. ثالثهم، «بيريو»، الذي التقيته في اليوم الموالي لوصولي، ملازما مكلفا بمكتب شؤون الأهالي بمنطقة بني ونيف قبالة فكيك. أخيرا رابعهم، «ديلماس»، الملحق منذ 1903، بالقيادة العسكرية العامة بوهران، بصفته ملازما بفيلق الرماة، والذي جاء في مهمة لأسابيع بعين الصفرا، بعد تحملي مسؤولية قيادتها، والذي وجدته ثلاث سنوات بعد ذلك، حين عينت قائدا لمنطقة وهران العسكرية، وقد رقي إلى رتبة نقيب، والذي عينته الضابط الأقرب لي بالقيادة العامة بها.
لقد تدرجوا، أربعتهم، في رتبهم العسكرية وهم يعملون تحت إمرتي. هنري وبويميرو، الذين بلغوا رتبة جنرال، بينما بلغ كل من بيريو وديلماس رتبة كولونيل. كنا نتبادل بيننا جميعنا الأفكار والرؤى، مما جعل تحليلنا يواشج بين رؤانا. وكنا نعتقد أن لاشئ سيفرق بيننا أبدا. وكنت أخطط لتحقيق مهامنا بشكل مشترك، وأن أحرص على تشجيعهم على أن ندون ذلك جميعنا، لما فيه توثيق لأعمالنا المشتركة، استعدادا لتارخ تقاعدنا، الذي كنت الأول فيهم على اللائحة، كوني كنت أكبرهم سنا جميعهم بكثير.
لكن، وأسفاه، كلهم غادروني في الطريق.
الجنرال هنري، الذي في سنة 1916، سيذهب للإلتحاق بجبهة القتال بفرنسا، والتي اشتهر فيها بأعماله في شرق فرنسا وببولونيا، مما منعه من الإلتحاق بالمغرب. فيما الكولونيل بيريو والكولونيل ديلماس والجنرال

بويميرو، قد اختطفهم الموت تباعا بين 1918 و 1921 و 1924، وهم في كامل قواهم الجسدية، وكان وعد عطائهم للمغرب ولفرنسا لا يزال أمامهم.
إن فقدان، هؤلاء الرفاق، الذين كان التعاون معهم، قد بلغ درجة متقدمة من الحميمية، ما جعلنا ما عدنا نكتفي سوى بالنظر إلى بعضنا البعض ليفهم كل منا صاحبه. إن فقدانهم، قد أصابني في مقتل فعلا. وكنت أستشعر فداحة غيابهم، في لحظات اتخاد قرارات مصيرية، حيث تواجدهم سيكون فارقا بالنسبة لي.
لقد كان الكولونيل بيريو أول من توفي منهم، ثمانية أيام فقط بعد إصابته بنزلة برد حادة، مصحوبة بحرارة جد مرتفعة. والذي ألقيت كلمة تأبينية ثلاثة أيام بعد وفاته:
إنني ما أزال أتساءل، إن كانت لي القدرة لتناول الكلمة. لأن أخا لا يتكلم » عند قبر أخيه، وقوة علاقتي ب «بيريو» جعلتنا موحدين إلى درجة الصداقة الأخوية. لكن، هناك الواجب، الذي هو فوق حالتي النفسية والعاطفية. واجب القائد إزاء من خدمني بأقصى درجات الوفاء والتواضع واللين، على القدر نفسه الذي خدم فيه بلده. وواجبي يفرض علي أن أخصه بهذه الشهادة الأخيرة.
اعذروني إن كنت لن أسرد أمامكم ورقة مساره العسكري، كما جرت العادة بذلك في مواقف مماثلة، والتي تستعرض مراحل ذلك المسار. لأنها مكتوبة سطرا سطرا، وورقة ورقة، فوق تراب إفريقيا، وكلكم تعرفونها. واسمحوا لقلبي وفؤادي فقط أن يبوح بمكنونه.
كم كنا نستحضر أنا وإياه، تلك الليلة الخالدة ليوم 2 أكتوبر 1903. كنت مبعوثا من فرنسا إلى الجنوب الوهراني (بالجزائر)، بعد أحداث «تاغيث» موكار» (2). كنت قد وصلت إلى عين الصفرا يوم فاتح أكتوبر. وفي »و الغد، توجهت مباشرة إلى مركز بني ونيف قبالة مدينة فكيك المغربية، هناك التقيت بالملازم بيريو، بصفته رئيسا لقسم .التي لم نحتلها بعد الإستعلامات والمخابرات. لم يسبق لنا أن التقينا أبدا، تبادلنا أطراف الحديث وسرى بيننا دبيب تواصل سري. بعدها في الليل، كانت المعلومات حول مشاكل السياسة الأهلية، التي فتحت الباب لأول لقاء لنا مع المغرب، والتي ستفتح لنا بابه في ما بعد.
كنا قد خرجنا في جولة ليلية، حتى نجد راحتنا في الكلام، تحت ضوء

القمر، بين امتداد نخيل واحة بني ونيف. وما زلت أرى قفزته انتباها، وقد أخذنا الحديث حول مهامنا التي تنتظرنا، أننا تجاوزنا المنطقة الآمنة بكثير أثناء تجوالنا، فأعادني بسرعة إلى أقرب مركز أمني، ثم عدنا. لكن شعلة التواصل قد اشتعلت بين أفكارنا وروحينا إلى الأبد.
لقد مرت على ذلك اللقاء الآن، 15 سنة كاملة. ومن حينها ظل التعاون بيننا حميميا، كاملا، منسقا وصلبا، مطوقا بعاطفة صادقة لاشئ يقطع وصالها.

(يتبع)

هامش:

هو الكولونيل بيريو، أقرب مساعدي الماريشال ليوطي بالمغرب. (1) كونه رجل تقته الذي هندس المسار السياسي الذي سيعاد من خلاله إعادة تنظيم الدولة المغربية. ولا يتردد البعض في وصفه، بأنه الأب الروحي، سياسيا وإداريا وأمنيا، للمغرب الحديث بعد 1912. هو من مواليد 1871، بالتالي فقد توفي وهو في 47 من عمره. ولقد عينه ليوطي منذ بداية احتلال المغرب سنة 1912، المسؤول الأول عن القسم السياسي والإداري والمخابراتي، بالإقامة العامة الجديدة بالرباط. كان ينوب عن ليوطي بالرباط، كلما سافر هذا الأخير خراج المغرب أو إلى مختلف نقط المواجهة بالجغرافيات المغربية.
تاغيث، هي منطقة صحراوية قريبة من منطقة توات، وكانت جزء (2) من الأراضي المغربية التي اقتطعتها فرنسا من المغرب سنة 1900، ووقعت بها مواجهات عنيفة دامت 4 أيام في شهر شتنبر 1903، خسر فيها الفرنسيون عددا مهما من جنودهم. بينما موكار، هي منطقة صحراوية أخرى تقع جنوب وهران بالجزائر، ولقد وقعت فيها مواجهات عنيفة بين القوات الفرنسية ومقاتلين أمازيغ يوم 2 شتنبر 1903، انتهت بمقتل قادة تلك الفرقة الفرنسية و36 جنديا آخر.

الحكم ليس تقنيا، بل سياسيا بسقف أخلاقي

الرباط: 19 دجنبر 1918
(تتمة)

ما كان يثير عند «بوريو»، وهو لما يزل ضابطا شابا، هو نضجه العالي، قوته الإدارية وتوازنه النفسي. ولقد كانت له ميزتان كبيرتان: عشقه الصوفي لمهنته، ثم تقدير ذكاء الأهالي. كانت الجندية في دمه. وكان يكفي للتأكد من ذلك، من مشاهدته وهو يقود فرقته العسكرية بالصحراء بمنطقة «الكير»، أو وهو يقود فرقة «الكوم» بمنطقة الشاوية (بالجزائر)، بصرامة القائد، بعينين يقظتين، بأوامر مختصرة، وكيف أن جنده ينصاعون له في انضباط.

كانت له قدرة على التواصل مع الأهالي، لم أجدها عند أي أحد غيره، وهي السلاسة ما يجعل الأمر مبهرا. لقد قرأت مرة أنه «ليس هناك عمل إنساني يمكن أن يكون بالفعل عظيما، بدون قدر من الحب والشغف».
ولقد كان هو يتوفر على ذلك القدر من الحب والشغف، ما مكنه من إنجاز ، بالشكل الذي جعله أفضل، إن لم يكن (عمله الجبار (وهو جبار فعلا الوحيد، ممن نجحوا في تحقيق تدبير سياسي للمجموعة الإسلامية بكفاءة، بيننا، في كل الشمال الإفريقي.

لقد كان الكثيرون يتقنون، إما تمحيص الملفات، أو حسن تأويل المعطيات، أو معرفة دقيقة باللغة المحلية والأدبية (وهذه أمور كلها مجتمعة فيه)، لكن ولا واحد منهم، امتلك تلك القدرة على التفهم العاشق للجنس المغاربي. ولأن الناس أحست ذلك الشغف وذلك الحب، فإنها، هنا، بالشمال الإفريقي، لم تتردد في أن تبادله ذات الإحساس بصدق.
فالجميع، من القياد إلى «الكوم» بالجزائر، ومن السلطان مولاي يوسف إلى أعضاء المخزن، هنا بالمغرب، وصولا حتى إلى أبسط الناس، الذين كان بعضهم يبكي بحرقة عند جثته. فكلهم كانوا يرون فيه صديقا ولهم فيه ثقة عمياء.

إنني سأبوح بذلك، سأراه بوجهه الصلب، يصيخ بالسمع إلى نبض هذا الشعب المغربي، القلق من المستقبل، ومن المرحلة الإنتقالية التي يجتازها، بكل مشاكلها التي تنفتح أمامه. بينما هو صبور، منصت إلى ذلك النبض، ويجوس على الجسد مثل كل طبيب يدرك فن التشخيص الدقيق للحالة. ولأنه كان ممتلكا لهذه الملكة، فقد كان أداة الربط الحاسمة وأنه كان حجز الزاوية الحاسمة .والفعالة بين هذا الشعب المغربي ونحن .في سياسة الحماية بالمغرب

إن السر كامن، في ما ظل يحمله للأهالي من تقدير صادق، إلى الحد الذي يجعلك تعتقد أنه من نفس جنسهم. وكانت له المعرفة الدقيقة والحداثية والعملية حول طرق تحقيق تطور هذا الشعب. وإذا كنا نضجر من قدم وتهافت مقاربة بعض المتخصصين في دراسة الأهالي، الذين لا يدركون أن الأرض تدور، فإنهم انتهوا إلى أن يكونوا أكثر عثاقة من الأهالي، بدعوى محاولة التقرب منهم. فينتهون إلى تحنيطهم في صورة نمطية جاهزة وميتة. وآه، كم كان «بويرو» بعيدا عن هذا النوع من الباحثين. وكل من اشتغلوا إلى جانبه هنا، في مجالسنا، يتذكرون الروح التي كان يصدر عنها. وكيفية نجاحه في فتح الأراضي أمام الإستعمار، وفي نسج العلاقة بين الأهالي والأروبيين، وأن يشركهم في الشأن العام، وأن يدمجهم ضمن قيم نظامنا التعليمي. فكان يسبق بمسافات القرارات المتسرعة، من حيث أنه هو المدرك لطبيعة ذهنية الأهالي، قد كان ينجح دوما في أن يحملهم على الإندماج في لحظة الإنتقال والتعايش معها .بيسر. وتكون النتيجة، أن لا أحد يتملكه منطق الشك أو الخوف أو التردد

كم ناقشته، وكم قضيت معه من الساعات، وأنا أصيخ السمع إليه، بإعجاب لشخصه ونباهته. فهو لم يكن يقبل أن لا تكون هذه البلاد التي هرقنا دمنا واستثمرنا مالنا فيها، بالنسبة لنا فضاء للتقدم إلى الأمام، وخزانا للثروات جد مخصب ومفيد لنا. في الآن نفسه، الذي لم يكن يقبل ، الذي قدم الكثير من علامات الولاء (أن يستشعر هذا الشعب (المغربي

والإنضباط، والذي يتميز بقدرة هائلة على البدل والعمل والعطاء، أنه مستغل وغير مستفيد من تلك الثروات. الأمر هنا، أكبر من مجرد سياسة للحماية، إنها مشروع لروح سياسية واجتماعية معززة برؤية أخلاقية سامية، تلك التي تحترم حقوق الشعوب، التي نحن اليوم نرفع لواءها عبر العالم (بعد الحرب).

لقد قدم «بوريو» أعظم نماذج التضحية. فحين اندلعت الحرب (العالمية الأولى)، لم يثقل علي بأي طلب. وكان بيننا ما يشبه العهد الضمني، حيث نظراتنا تكفي لنفهم ما يدور في خلد كل واحد منا. لقد أدرك أن مكانه في الحرب هي هنا بالمغرب، وليست في مكان آخر. وكان يدرك أنه لو قال لي: «لم أعد أحتمل، علي السفر إلى هناك»، كنت سأجيبه: «إذهب إذن». بالتالي فهو لم يطلب ذلك مني قط، لأنه كان موقنا أن دوره العسكري هنا. وأنا من جهتي لم ألزمه قط بشئ، لأنني كنت موقنا أن حاجتنا إليه بالمغرب حيوية.

فهنا، كان ينجز مهمته كاملة. مهمته المزدوجة، لتثبيت الحالة السياسية والعسكرية بهذا البلد، ويقدم المثال لضباطه في المخابرات، أي تلك الفرقة من النخبة، التي هي الوحيدة التي أعضاؤها لم يذهبوا إلى فرنسا أثناء الحرب، لأن مهمتهم هنا بالمغرب، كانت حاسمة ومركزية وفعالة.آه، لقد أنجز مهتمه العسكرية بتفان حيثما كان، حتى النهاية.

منذ شهرين، وقد بدأت تظهر عليه علامات المرض، ورغم مصاعب الطريق بمنطقة الغرب، كان يرافق الكولونيل «بيلليغران»، في مهمة حماية القبائل التابعة لنا وكذا مجالات إنتاجنا الفرنسية. ومنذ أسبوعين، حين رافقني إلى مراكش، وكنت ألمح مدى ألمه والتعب آخد منه جسديا، فإنه كان ملزما بالحضور بسبب مسؤولياته إلى جانبي لمواساة عائلات بعض الضحايا. لقد وهب نفسه لواجبه العسكري حتى آخر رمق. آه، كيف أنسى ليلة أمس الأول، وقد أنهى كل واجباته أمام ربه وأمام الله، وفي وعيه الكامل، أنه أنجز مهامه أمام رفاقه وأهله، استقبل زوجته التي

نحيطها بكل رعايتنا هنا، حرص على أن يكمل واجبه العسكري، رغم الهذيان الذي بدأ يشتد عليه. ولن أنسى كيف أخذ بيدي، وعينه في عيني، في الثانية صباحا من ليلة أمس الأول، ولا يزال رنين صوته عالقا بأذني، كي يهمس لي، بذات ما يقلقنا عسكريا، قائلا: «سيدي الجنرال، لقد أبرقت البارحة وقمت بمكالمة اليوم، لا تجزعوا فقد قمت باللازم». نعم، لقد قام بما عليه القيام به، هذا العزيز «بوريو»، لقد قام بذلك طوال حياته.
لقد قام بكل ما يتوجب عليه القيام به، حتى تلك الدقيقة الأخيرة وهو يعانق الموت، حيث كانت فكرة خدمة وطنه هي الغالبة لديه.
ليرقد بسلام، في تربة إفريقيا هذه، التي كم عشقها وأحبها»

الحرب انتهت في فرنسا، لكنها لا تزال شديدة بالمغرب

الإحتفال بالنصر- لدار البيضاء: فاتح يناير1919

كان لزاما علي التذكير بواقع الحال، ضمن أجواء فرحة النصر (بالحرب العالمية الأولى). لأنه، إذا كانت الهدنة قد أنهت المواجهات في فرنسا، فإنها في المغرب لم تنته، ولا تزال قائمة بشكل أكثر شراسة. فجزء كبير من البلاد لا يزال يقاومنا. لكن بسبب بداية التسريحات العسكرية

واستدعاء القوات البرية باستعجال، التي تشكل حجر الزاوية من قوتنا، وجدنا أنفسنا أمام تحدي خصاص كبير في جنودنا. بينما كان الأهالي الذين يواجهوننا، يعتبرون أن نصرنا بأروبا، ليس سوى مقدمة لتقليص تلك القوات بالمغرب. ولقد سرت شائعة، قوية، ترسخ لتلك القناعة.بينما، سجلنا في صفوفنا نحن، من جهة أخرى، تراخيا وضجرا، لأنه كل العيون أصبحت مصوبة صوب فرنسا، على أمل العودة إليها، لأن التحدي العسكري لم يعد مطروحا. كان الأمر بالنسبة للجميع، مناسبة للدعة والراحة، التي لطالما انتظروها. فكنا بذلك، نواجه واحدة من أصعب اللحظات ماديا ومعنويا، تفرض على من يتحمل مسؤولية القيادة التذكير بالوقائع وما تفرضه من واجبات. فكانت هذه الكلمة:«إننا نفرح بالنصر، لأول مرة منذ 40 سنة. هذا النصر المبهر الذي تجاوز كل التوقعات وكل الإنتظارات (1). ولقد تركنا هنا بالدارالبيضاء وأيضا بالرباط، منذ إعلان الهدنة، لحقنا في الفرح أن يعبر عن نفسه. لكن، أعتقد أنه في هذه اللحظات من السعادة الباذخة، من واجبي كقائد للحكومة، أن أنبهكم أن نهاية الحرب (هناك)، لا تعني نهاية للمشاكل وعودة سريعة إلى الحياة الطبيعية. لأن تجربة الأسابيع السبع الأخيرة، إنما أعلت من هذا اليقين.صحيح، أن العدو قد تلقى هزيمة نكراء، بفضل عمل جبار حاسم (من قبلنا)، وأننا طردناه من أراضينا، بل وحتى من مناطق أخرى. لأننا لم نحرر فقط مدن ستراسبورغ وميتز، بل دخلنا أيضا إلى ماينس وغبلنز وكولون [وهي مدن ألمانية]. وأمام صلابة قوات التحالف المنتصرة، انهارت ألمانيا، ولن نوفي أبدا من أنجزوا ذلك، حقهم من العرفان، أي قواتنا، وكل من كان لهم حظ قيادتها، وفي المقدمة منهم الجنرال فوش ورئيس الجمهورية كليمنصو، وكذا كل حلفائنا.لكن، تكفي قراءة الصحف والبلاغات، لندرك أن النظام والسلام والحياة العادية، لا تتحقق بين عشية وضحاها، ومباشرة بعد الهزة الهائلة التي عاشها العالم. من .بل، هنا بالمغرب، فإن المشاكل التي ولدتها الحرب لا تزال قائمة

الناحية الإقتصادية، فإن أزمة النقل البحري لا تزال مكلكلة، والتي بدون حلها لا قدرة لنا على المبادرة والتحرك. خاصة، وأن حلها غير مرتبط بنا نحن فقط أو بفرنسا وحدها. إن أزمة التسريحات، التي سترجع حجم الموارد إلى الوراء بفرنسا، ستحرمنا نحن هنا من الدعم الحيوي الذي كانت توفره لنا قيم فردية، ربتنا عليها الحرب، وقدم لنا المثال عنها محليونا هنا، الذين أهتبل هذه الفرصة لأعترف لهم بعظيم دروهم.وخلاصة ذلك، هي تعاظم أزمة اليد العاملة، سواء في مجال المهام الخاصة أو في مجال الخدمات العمومية. فمن وجهة نظر عسكرية، فإن تقليص أعداد المجندين، يعتبر أول النتائج للنصر. وهذا أمر صعب تحمله أو تقبله هنا، خاصة في جبهات المواجهة. فعمليات العدو في مختلف الجهات، لم تتوقف أبدا. وفي الجبهات البعيدة، فإن المنشقين ضدنا، لا يزالون غير مصدقين أننا انتصرنا (في الحرب)، وهم لا يسجلون سوى أمر وحيد، هو تقلص أعداد قواتنا، وأنه ولا وحدة عسكرية واحدة قد عادت من فرنسا. ثم هناك الأسباب الكامنة للمقاومة، التي ظلت قائمة منذ ما قبل الحرب عند تلك المجموعات. أي نزوعهم الطبيعي نحو الإستقلال والتطرف وروح المقاومة ضد النظام والتنظيم. لهذا السبب، فإن الجهد العسكري هنا بالمغرب، لا يجب أن يلين أبدا، ولو للحظة.لقد نبهت الحكومة إلى هذه الوضعية. وأنا متأكد أنها ستمنحنا في وفي .القريب العاجل المتطلبات العاجلة لمواجهة الأمر بأخف الأضرار انتظار ذلك، وفي انتظار عودة قواتنا، علينا للثبات في مواقعنا، أن نجتاز هذه المرحلة الإنتقالية الدقيقة بسلام.إن واجبي يفرض علي أن أستعرض أمامكم هذه الوضعية، تأسيسا على الثقة التي ربطتنا دوما. لأنني لم أكن في حاجة أبدا لوحدتكم ودعمكم، مثلما أنا في حاجة إليه الآن. ولأننا في لحظة دقيقة، من واجبي أن أنوركم حول هذه التحديات. وهذا سيجعلني أطالبكم بالمزيد من الجهد، أكثر من الذي ظللت أطلبه منكم منذ أربع سنوات. وأريد أن تكون كلماتي التي أوجهها لكم هنا، هي الضمانة على

الثقة والإمتنان.ثقة وامتنان تجاهكم، أنتم أيها السادة الموظفون، الذين أعلم قيمة ما تبدلونه من جهد، في نكران للذات. وكم أصبحت مسؤولياتكم ثقيلة منذ أربع سنوات. لأنكم كنتم مطالبين بإنجاز مهام أكثر وأكبر، بعدد محدود. مثلا، من السهل أن نغتاب السيد «لوبورو»، لكن حين نطلع (مثلما فعلت دوما) على حجم ما ظل يقوم به، في ظروف صعبة وبدون اعتراف بالجميل، وفي قلب انتقادات متلاحقة، التي تجهل تماما تعقد ما يواجهه من مشاكل، فإننا لا يمكن إلا أن ننحني أمام الوطنية التي كانت تحركه، مثله مثل كبار مسؤولي المصالح المختلفة، الذين ظلوا يبدلون العطاء، مدعومين بمساعديهم الذين كانوا في معركة مفتوحة لجني النتائج المرجوة.ثقة وامتنان إزاء قواتنا. آه، لن نوفيها أبدا حقها. ولن أتعب من تكرار، ما كانته هذه السنوات الأربع عليها من فاتورة، في جبهات صعبة ومجهولة وشرسة، حيث واجهوا كل أنواع الطقس، وتعرضوا لهجومات من كل نوع، وشكلوا رغم ذلك حائطا لحماية كل ما حققناه من مكتسبات. ولم يتلقوا لا اعترافا ولا تشجيعا ولا تعويضا للراحة، كما ظل الكثير من أخوتهم يخصون بها إخوتهم في فرنسا. وبالنسبة لهم، فالمهمة لا تزال متواصلة، ثقيلة أكثر على ذات أكتافهم، بينما في أروبا، اليوم، يحصد رفاقهم ثمار النصر. وسيعود، من حسن الحظ، قريبا بعض منهم لتعزيز صفوفهم، والتخفيف عنهم. ولست أشك أبدا أن وطننا سينصف هذا الجهد الخرافي، الذي عمل على حماية هذا الجزء من مجالنا الإستعماري الخاص بفرنسا.(يتبع)هامش:(1) يحيل هنا ليوطي، على ذكرى الهزيمة الفرنسية أمام ألمانيا سنة 1870، والتي كانت السبب في توحد كل أقاليم ألمانيا وميلاد الرايخ الألماني، حتى وفرنسا هي من بادرت إلى إعلان الحرب عليها يوم 19 يوليوز 1870. لكنها ستنهزم هزيمة مذلة يوم 28 يناير 1871، وفقدت في تلك الحرب إقليمها الإستراتيجي بقلب أروبا «الألزاس لورين».

تدشين أول كلمتر من رصيف ميناء الدارالبيضاء سنة : 1919

الدار البيضاء: فاتح يناير 1919

(تتمة)

ثقة وامتنان تجاه المواطنين المدنيين الفرنسيين، الذين ساعدونا جميعنا، خلال السنوات الأربع الأخيرة. بل، كانت داعمة لي، وهي مدركة لواجبها الوطني الكبير، ومدركة أيضا لواجباتها بإزاء ما وفرته لها الحكومة من رعاية مما مكنها من تحقيق أرباح كثيرة. والثقة المتبادلة تلك، أطلب منهم أن يواصلوا في ترسيخ أسبابها.

إن تهدئة المغرب، التي هي الضمانة لتحقيق الأمن هنا، قد طالها بعض التراخي بسبب النصر في الحرب، وبسبب الإطمئنان لوحدة الصف. لكن، ليكونوا متيقنين أن حماية مصالحهم هي وكدنا الأكبر، وأنها عصب عملنا كله. إذ يكفيهم الإطلالة على ما تبدله إدارتنا من جهد خرافي للتأكد من حرصنا على تلبية حاجياتهم وتحقيق رضاهم، وكي نوفر لهم كل أسباب الإنتاجية، التي تجعلكم أبناء بلدي تستفيدون من ثمارها.

ثقة وامتنان، أخيرا، تجاه الشعب المغربي. آه، علينا أن لا ننسى أبدا الدعم الوفي الذي خصصه لنا. لأنه ما أن وضعنا أقدامنا في هذه البلاد الواعدة، حتى اندلعت الحرب. كانت تمة توجسات طبيعيا. وما زلت أذكر التحوط الذي قابلت به الحكومة الفرنسية إرسال قناصة مغاربة (إلى فرنسا)، وهم غير متأكدين من إمكانية التعويل عليهم (في الحرب). لكن ما فعلوه بجبهات أروبا، لست في حاجة إلى إعادة تذكيركم به. فالتاريخ وحده من سينصفهم. دون إغفال أن وفاءهم هنا، هو الضمانة الكبرى لقوتنا وأمننا. مثلما أن عمالهم، قد برزوا بحنكة في كل معاملنا الحربية. مثلما أن فلاحيهم، قد انخرطوا بقوة في مضاعفة الإنتاجية، من أجل نقل محاصيلها إلى بلادنا التي استفادت منها كثيرا.

إن موقفهم ذاك، أثناء الحرب، لا يمكننا أبدا نكرانه أو تناسيه. وعلينا أن نبرهن عن ذلك، من خلال واجب الإحترام لهم، لقوانينهم، لتقاليدهم، وكل ما يشكل هوية وروح هذا الشعب. لأنه سيكون من التناقض، في اللحظة التي كانت فيها لحقوق الشعوب المكانة المتقدمة ضمن معركتنا وواحدة من شروط نصرنا، أن ننكر ذلك على من غرسنا رايتنا بينهم، والذين، علينا على العكس من ذلك، أن نقدم من خلالهم المثال الحي على تحقق نظام للعدالة والشراكة الحرة، التي نطمح إلى تعميمها على العالم.
والأن، وبعد أن قمت معكم بجولة على أهم النقط التي تفرضها علي مسؤولياتي كقائد للحكومة، في أفق تمثل مخرجات هذه السنة. فاسمحوا لي، أن أنزاح قليلا، عن ثقل مهامي هذه، وأن أشترك معكم في فرحة رأس السنة الجديد. فلنوحد قلوبنا وأرواحنا وأفكارنا، من خلال توجيه العرفان والإمتنان لكل البيوت التي طالها الأسى بدون تمييز. وأيضا إلى قتلانا، إلى أمواتنا الأبطال، ولنرفع نخبنا لفرنسا. فرنسا الأبدية والمنتصرة.
الدار البيضاء: 15 يوليوز 1919
بعد فاتح يناير، كان علي التوجه إلى أقصى الجنوب، حيث كان الجنرال بويميرو» قد أصيب بجرح بليغ، يوم 15 يناير، بضواحي تافيلالت. »
فتحملت هناك، لأسابيع، مهام القيادة العسكرية المباشرة.
ذلك أنه بسبب رحيل الوحدات التي تم تسريحها، والتي عوضتها بشكل بطئ الوحدات العائدة من فرنسا وبأعداد أقل بكثير، فإن الوضعية كانت جد مقلقة. فلقد تجددت هجومات من يقاوموننا بشراسة أكبر، خاصة في أعالي كل حوض ملوية. لقد تم تدمير ثمان من مواقعنا واحتلالها، وكان لا بد من حملة عسكرية شاملة، حتى نستعيدها واحدة بعد الأخرى.
يضاف إلى ذلك، أنه بسبب تبعات الحنق العام الناتج عن تخفيف الإجراءات القمعية، التي كانت معتمدة طيلة أيام الحرب (العالمية الأولى)، والتي أدت إلى تسيب في الكثير من الوحدات، فإن هجوم الصحافة كان لاذعا. فكان لزاما مواجهة كل أنواع تلك المقاومات بصرامة وإعادة الثقة والنظام.
ذلك، تطلب مني تنقلا متواصلا هنا وهناك، بين مختلف جبهات القتال وكذا جبهات أخرى مختلفة، تبرز بشكل فجائي غير منتظر.

بالتالي، فقد تواصلت أعمالنا رغم كل الظروف. هكذا، ففي شهر يوليوز،
تم تدشين الرصيف الكبير لميناء الدار البيضاء، الذي تواصلت فيه
الأشغال ببطء، نعم، لكن بإصرار، بسبب الظروف التي كنا نواجهها أثناء
الحرب. وبلغ الألف مترا، بفضل حيوية وصلابة من يعود له الفضل في
دولير» المدير العام للأشغال العمومية، الذي »تحقيق ذلك الإنجاز، السيد
توفي مؤخرا وهو يزاول مهام المفتش العام للقناطر والطرق. فألقيت في
:يوم ذلك التدشين الكلمة التالية
أيها السادة،»
إن ما جئت أبحث عنه هنا، ليس خطبا، بل منجزات. لأن الخطيب المفوه
.هنا، في هذا الجمع، هو «الكتلة» التي ستنتهي الألف متر للرصيف
وحتى نقيم جيدا أهميتها، لنذكر فقط، أنه في يوم 1 غشت 1914، كان
الرصيف لا يتجاوز 350 مترا في أصله. هكذا، فخلال خمس سنوات من
الحرب، حيث كل شئ كان ضد العمل السلمي التنموي، تم إنجاز 650
والتي أضيف إليها، حتى نكون دقيقين، .مترا جديدة من الرصيف بالميناء
بناء مجال مغطى منته منذ 1915، ثم الميناء الصغير (للصيد البحري)
المنتهي سنة 1918، ثم تسوية أراض عدة وأحواض ومختلف المصالح
.الموازية
إن هذا العمل، لهو من المنجزات التي تحسب لشركة «كروزو»، التي
رغم الأشغال الكبرى للحرب، من صناعة للمدفعية والقنابل والذخيرة
ومختلف الآليات، قد نجحت في إنجاز هذا المشروع المدني للسلم، مما
رسخ ذكاء وعيها الوطني وتفتها الكبرى في المغرب. فكل تقديرنا، إذن
يذهب صوب مؤسسة «شنايدر» وأطرها الحاليون أو السابقون،، وبخاصة
.(إلى من اسمه حاضر في كل القلوب السيد «بول شاي» (1
إن عرفاننا، يذهب أيضا صوب كل عمالكم وأطركم، الذين انخرطوا بكل
قواهم في العمل لإنجاز هذا المشروع. فهم قد أدركوا أن الأمر لا يتعلق
بمشروع للكماليات،، بل بعصب الحياة الإقتصادية للمغرب. وأنهم بضمان
تنميته، إنما يقدمون خدمة جليلة، لباقي إخوتهم من مختلف المهن به.
وأحيي الشركة على انفتاحها على موظفيها، وتحقيقها لمطلب تحسين
.أوضاعهم المالية والإجتماعية
إن امتناني يذهب أيضا، إلى الرأي العام البيضاوي، الذي دعمنا منذ البداية

بقوة، من أجل إنجاز هذا الميناء، والذي تبدى من خلال إنشاء غرفة التجارة، التي ترأسها بحنكة رئيسها الحيوي السيد «غيرنيي».
وإن امتناننا الكامل، يذهب، أخيرا، إلى من هندس مشروع الميناء كله، ودافع عنه بصلابة السيد «دولير».
(يتبع)

هامش:

(1) هي واحدة من أقوى المجموعات الصناعية الفرنسية، التي تأسست سنة 1836. تخصصت في البداية في مجال الصناعات الحديدية، ثم في مجال صناعة مختلف أنواع الأسلحة. قبل أن تصبح بعد الحرب العالمية الثانية متخصصة في صناعة السفن والصناعات الكهربائية وقاطرات القطارات، ابتداء من سنة 1948. ولقد تم تأسيس مؤسسة صناعية فرعية لها بالمغرب، ابتداء من سنة 1902، تحت إسم «الشركة المغربية»، وهي أول من لعب دورا محوريا في شق السكك الحديدية بالمغرب في بداية القرن 20، وكذا في توسعة وتجهيز ميناء الدار البيضاء وميناء القنيطرة. ولقد ولجت «الشركة المغربية» التي ترأسها في مرحلة من المراحل «يوجين شنيدر الثاني» إلى بورصة باريس سنة 1920.

ما قيمة ميناء الدارالبيضاء بدون سكة حديد وكهرباء؟

الدارالبيضاء: 15 يوليوز 1919
(تتمة)

إن اليوم، مناسب للتذكير ببعض التاريخ.
حين وصلت إلى المغرب سنة 1912، كنت غير متحمس كثيرا لإمكانية إنشاء ميناء بالدارالبيضاء. فقد بقيت سجين موقف غير متحمس منذ إنزال 1908. بينما كانت الجهات المعنية بباريس رافضة للفكرة. كنت أستحضر تجارب أخرى سابقة، لنا، في مستعمرات أخرى، حيث انغمسنا في إنشاء

مشاريع موانئ، لم تنجح، وصعب علينا التخلص من شرنقتها وتبعاتها. فكنت حريصا على أن لا أقع في نفس الخطأ. ورغم كل هذا التهيب، اقتنعت بسرعة، أنها هنا يجب إنشاء الميناء، حتى وإن كنت متهيبا من توفر الإمكانيات لتحقيقه. لكنه السيد «دولير»، الذي أقنعني، بعد أسابيع من الدراسات. لقد قال لي: «أنا متأكد أنه سيتم إنجاز هذا الميناء في أحسن الظروف. فقد أشرفت على من هو أصعب وأخطر منه بكثير».
هذا لم يمنع، شهورا بعد ذلك، بعض الجهات ذات الحجية المجربة، من التشكيك في فائدة ذلك المشروع، مقدمين دفوعات تقنية جد مفحمة، ما جعلني (وعلي الإعتراف بذلك)، أنساق أكثر لقرار وقف إنجازه وإلغائه. ومرة أخرى كان تدخل السيد «دولير» من أعادني لركوب المغامرة، بعد أن بدد كل أسباب شكي. فليس هناك شخص تدين له الدارالبيضاء بمينائها غيره، وعليها أن تظل ممنونة له إلى الأبد.
سيكون غاضبا مني، أنني لم أذكر بدور مساعديه الأقربين. وإذا كان صعبا ذكر أسمائهم جميعا، فإنني سأتوقف عند المهندس فرانسوا، الذي انخرط بكامل جوارحه، في هذه المغامرة، منذ البداية. ثم المهندس الرئيس السيد ديلبي، المتخصص بكل متعلقات الميناء، والذي انخرط بكل جوارحه في إنجازه هو الآخر.
هناك، إسم، لا بد أنكم ستؤاخدونني إذا لم أشر إليه، وهو السيد إدوارد بيللي. ذلك، أنه رغم عدم تحمله مسؤولية مباشرة في ملف الميناء، فإنه قد كان على صلة وثيقة بكل ما يرتبط بمجال الأشغال العمومية بالمغرب. والواجب يفرض علينا استحضار ذكراه. إذ، كلكم تذكرون الظروف التي غادرنا فيها، مكرها، بعد أن استدعاه السيد تارديو، مكلفا بتتبع وإنهاء التعاون مع أمريكا. وفي تلك المهمة العظيمة، ذات الإرتباط الوثيق بمصلحة أمتنا وتحقيق النصر (في الحرب العالمية الأولى)، فإن السيد بيللي قد أبان عن حنكة عالية. ذلك، أن كفاءته المهنية، وحسه العملي كرجل صناعة، قد تضاعفا مع المشاريع التي دخلها ذات الأفق الشاسع.
لقد أرسل لي من مدينة نيويورك رسالة ذاتى نفحة بيداغوجية. لقد أدمجني معه في نمط الحياة الذي انخرطت فيه تلك البلاد ومشاريعها. ورغم تحوطه من السقوط في الأحكام المتسرعة، ومن الرغبة في تقليد ما لا يقلد، فإنه كان مبهورا بحجم قوة الإنتاجية هناك، وبتبعية الوسائل للهدف،

ثم الرؤية الموسعة للملفات. لقد كتب، مثلا، يقول: «إننا حيث نقيس ب كلمتر. وحيث نحسب بأفق 10 1001000 كلمتر، هم يقيسون ب سنوات، هم يحسبون بأفق سنتين. وذلك لأنهم غير غارقين في الصيغ العتيقة أو القوالب الجاهزة أو في بيروقراطية الإدارة التجزيئية، المعقدة والبالية».

لقد وعدني بزيارة قريبة لنا. وأنا أنتظره حتى يساعدنا في إيجاد الصيغ التجديدية المستندة على طرائق جديدة. لقد وعدني بتخصيص أسبوعين للمغرب، ولقد توصلت منه بتلغراف يؤكد وصوله يوم فاتح غشت، في ذات يوم وصول خبر وفاته العبثية بسبب حادثة حصان. إنها خسارة كبيرة لفرنسا التي كان واحدا أن أوفى خدامها. وهي خسارة كبيرة أيضا للمغرب. لكننا سنظل نستمد الطاقة من الأثر الذي خلفه فينا.

علينا أن لا نتوهم، أن الرصيف الجديد يمثله لذاته منجزا. بل إن قيمته كامنة في شكل توظيفه. حقا، هو منجز معنوي هام، إزاء من ظلوا يشككون في إمكانية إنجاز ميناء بالدارالبيضاء، لكن قيمته كامنة في ما سيلي إنجازه. فهو لا يمنحنا ميناء. فالميناء لا يزال مشروعا مفتوحا، يتحدانا، أمام محيط لا يزال حرا، يستوجب إنجاز ذراعين مزدوجين للأرصفة، بما يستتبعه ذلك من واجب إنجاز الأحواض وردم البحر لخلق مساحات أرضية جديدة وآليات الإشتغال.

بل، ليس ذلك فقط. فالميناء ليس سوى بابا مفتوحة، لا قيمة لها سوى بما يلج عبرها دخولا وخروجا، وأن يكون منفذا لتصدير المواد المحلية واستيراد الأجنبية. والحال أن تلك المنافذ لا نملك منها سوى البدايات. صحيح أنه قد أصبحت لنا شبكة واعدة من الطرق، لكنها تحتاج إلى تطوير. ولنا خط سكة حديد عسكرية، الذي بفضل العمل الذكي للسيد بورسو، قد وهبنا نتائج اقتصادية غير متوقعة، وهي ليست، رغم كل ذلك، سوى قطرة ماء. ونحن لا نمتلك بعد خطوطا عادية للسكك الحديدة، لأن الإتفاقيات الدولية تتمعنا من إنجازها. مثلما أننا لا نتوفر بعد على شبكة الطراموي ولا على محطات الكهرباء. والآليات الفلاحية بالكاد بدأت تظهر. بالتالي، فإن المنجز المنتظر، هو من الضخامة الهائلة.

لقد قلت لكم، إن خطيب اليوم، هو هذه الكتلة التي ندشن. وأكاد أسمعها تقول لنا: «نعم، أنا كتلة من ألف متر، وأفخر بذلك أكيد. لكنني لا أتوهم

كثيرا، فلست سوى قطعة كتلة بئيسة. لا قيمة لي سوى بتعزيزي بآلاف الكتل الأخرى. وذلك لن يكون مفيدا سوى بإنجاز آلاف الكلمترات من السكة الحديدة وآلاف البواخر وآلاف الكيلواط من الكهرباء».

لقد صدقت هذه الكتلة في ما تقول. لنصخ السمع إليها. فميناؤنا لوحده لن يكون سوى بابا مفتوحة على منزل بدون ممرات، وعلى حيطان بدون مداخل.

إن هذا اليوم، لا قيمة له بالنسبة لنا، سوى إذا كان محفزا يجعلنا نخرج مقتنعين أن عملنا لابد أن يكون منتجا، ومنجزاتنا سريعة الأثر، ومبادراتنا فعالة. إني أعول عليكم جميعكم، مصالح ومؤسسات وغرف تجارية ورأي عام، لمساعدتي للسير على هذا النهج، وأن نقوم بالمعارك الحقيقية، وأن نتجاوز القلاع الفاسدة التي نجدها عادة مبتوثة بيننا وبين منجزاتنا.

لولا جنود المغرب والجزائر وتونس والسينغال لما انتصرنا في الحرب

الدار البيضاء: 29 يوليوز 1919

كان الرايات الأربعة عشر للجسم العسكري للإستعمار (بالمغرب)، كانت قد أرسلت إلى باريس، مرفوقة بوحدات عسكرية، تحت قيادة الجنرال «بويميرو»، للمشاركة في الإستعراض بقوس النصر يوم 14 يوليوز. وحين عودتهم إلى الدار البيضاء، تم استقبالهم من قبلي كمقيم عام، مرفوقا بالإبن البكر للسلطان مولاي يوسف، قبل أن يتم تقديمهم أمام جلالته.

نظم، في المساء، حفل شراب على شرف الضباط وضباط الصف، العائدين من فرنسا، وعلى شرف الحامية العسكرية بالدار البيضاء. وكان مفروضا أن لا تلقى أية كلمة. لكن الجنرال «بويميرو» ألح على إلقاء كلمة تقريضية في حقي، بصفتي القائد العام للقوات، فكان لزاما علي الرد عليها، بهذه الكلمة:

«لم أكن أنوي أبدا أن ألقي خطابا اليوم، لكنكم جميعكم تتفقون علي أنه سيكون من قلة العفة، أن لا أرد على الكلمة الطيبة والحارة التي ألقاها الجنرال «بويميرو». وسأنوب عنكم في أن أعترف له أنه الرجل الذي كان أكثر أهلية لتمثيل جيش المغرب، متقدما هذه الرايات الباسقات. وعليه ينطبق تماما لقب، لم يوظف في التاريخ كما يجب دائما، وهو يليق به، إنه لقب «بويميرو المحبوب». لكن أكثر من ذلك، هو أيضا بويميرو الراعي، ذاك الذي ينال من رجاله كل المنتظر منهم، لأنه يحبهم وهم يبادلونه ذات الحب.

لقد تواصلنا جميعنا اليوم في هذا اليوم العظيم لعيد النصر. وهذا القوس للنجمة، الذي ابتكره نابليون خصيصا للقوات العائدة منتصرة. لكنه هو قد وضع فقط أساسها القيمي والرمزي، لكن مكر التاريخ لم يسمح أبدا حتى الآن، ل «باب المحاربين» هذه أن تستحق كامل معناها، سوى اليوم. فبعد 110 من السنوات، أنتم أول من عبر تلك البوابة. ولقد عشتم هذه الفصول الأخيرة من الحرب، بفضل ما قدمتموه خلال خمس سنوات من تضحيات كتبت ورقة وراء ورقة في كتاب التاريخ، معمدة بالدم.

ولقد حرص «بويميرو» على أن يتذكر ويذكرنا معه، من لم يشاركوا فيها، حتى وهم يستحقون ذلك. بالتالي، هم جزء فعلي في ذات النصر، لأن معركتهم لا تزال متواصلة. وأقصد جنودنا الذين هم الآن في روسيا، يواجهون لحظات صعبة من القلق والخطر. والآخرون بالبويم (بتشيكوسلوفاكيا) بقيادة الجنرال «بيلي»، الذي هو وحد منا (1). والآخرون ببولونيا تحت قيادة الجنرال «هنريس»، الذي هو واحد منا أيضا (2). وأولئك الآخرون على جبهة الشرق مع «إسبيري»، الذي هو واحد منا أيضا (3). ثم أولئك الذي بقوا مع جيش رومانيا البطل، والذين قد يواجهون غدا الجيش الهنغاري. وأخيرا، أولئك الذين هم في الجبهة المغربية، في هذه اللحظات، بتازة وأوريغة وتادلة، وفي كل الجبهات

.الأخرى، حيث يقفون متراسا من أجلنا ويتلقون يوميا هجومات مسلحة
إن تفكيري يذهب صوب أولئك الذين منذ 40 سنة، بل أكثر من ذلك منذ 80 سنة، إذا أضفنا ما تم إنجازه بالجزائر، وهم يعلون حجرة وراء .حجرة، بنيان إمبراطوريتنا الإستعمارية لفرنسا

اسمحوا لي، هنا، أن أهتبل هذه المناسبة للتركيز على نقطة معينة في التريخ، كثيرا ما تم التغاضي عنها وعدم الإنتباه إليها. إنها مغامرة الإستعمار هنا، التي لم تتلقى دعما، ولم تستهلك طاقات بلدنا الأم ولا أساءت للمجهودات الحيوية لدفاعنا الوطني. لانه تقريبا، باستقلالية (مالية) عن وطننا، أنجزنا هنا مهمة الدفاع بشرف وحنكة، بفضل مجهودات معمرينا الكبار، حتى وهبنا لبلدنا هذا المجال البهي والغني لماوراء .البحار

وحتى ندرك اليوم، أهمية وفائدة ذلك، لنذكر ببعض الوقائع. هل علي التذكير بالوضعية الكارثية التي كنا عليها سنة 1914، مع بداية الحرب، حيث كنا نعاني من خصاص في الرجال، أمام قوة الثنائي النمساوي الألماني؟. لقد كنا عزلا لوحدنا. فإنجلترا لم تكن تتوفر سوى على عدد محدود من الرجال، وإيطاليا كانت تكتفي بالتفرج، ولم يكن واردا في البال أبدا شئ عن أمريكا. هل كنا سننجح في المقاومة بدون القناصة الجزائريين والتونسيين والسينغاليين والمغاربة، الذين كانت بواخرنا تحملهم يوميا إلى موانئنا، وهم جاهزون ومدربون، ومنها ينقلون مباشرة إلى أماكن المواجهة. ثم جاء بعدهم المدغشقريون والهندو صينيون. وظل توافدهم متواصلا طيلة الخمس سنوات الماضية، بدون كلل. فقد ظل التجنيد يزودنا بكثافة كل يوم بوحدات جديدة، تضحي بأرواحها بدون تردد، وبفعالية، .حماية لأرواح فرنسية عدة، في مواجهات حاسمة

ليس هذا فقط. فإذا كان مشكل التموين للإستهلاك قد حل، والذي كان مؤرقا في بعض الأحيان أكثر من مشكل وفرة الرجال، فالفضل يعود إلى ما كنا نرسله من أطنان من القمح ومن المواد الفلاحية، التي كنا نرسلها من مستعمراتنا، والتي تقدم إحصائياتها اليوم الدليل القاطع على الدعم .الجلي والمبهر الذي قدمته تلك المستعمرات لفرنسا

وكل هذا هذا أصبح ممكنا، بفضل ما قدمته أجيال من الضباط والجنود، المضحية خلال نصف قرن، في نكران هائل للذات. فلأن أجيالا قد

واجهت صعوبة الحياة هنا، في صمت وبدون مجد ولا حتى اعتراف،
.(وفي باقي البلدان من الحدود مع الصين حتى تخوم الصحراء (الإفريقية
ولم تقدم تلك المستعمرات لبلدنا فقط الرجال والمواد الغدائية، بل أيضا قيما
داعمة من النوع السامي. آه، كم تم التغاضي عن أسطورة جنرالاتنا
وجنودنا بافريقيا، الذمتين، الذين هزموا في حرب السبعين (3). وأعتقد أنه
قد تم إنصافهم. ويكفي هنا التذكير بأسماء الجنرالات: غورو، إسبيري،
موجان، هنريس، برولار، دوغوث، الذين جعلت منهم الحرب أبطالا،
هل علي التذكير، بخصوص وحداتنا، بالدور .وأعظمهم الجنرال غالييني
الذي لعبته في بداية الحرب، هي المدربة جيدا، الصلبة، المتعايشة مع
ظروف الحياة القاسية للبوادي، والتي شكلت النواة الصلبة لجيشنا الوطني،
الحريصة والبطلة، الممتلئة بروح وطنية، الشابة والحديثة العهد مع
صعوبة المعارك؟. ويا له من توجيه ودعم ذلك الذي خصها به أطرنا من
الضباط وضباط الصف، المجربون، الذين يدركون كل تحديات المخاطر
.والمسؤوليات. وراياتكم، بصلبانها، هي هنا للإعتراف لهم بذلك
(يتبع)

هامش:
يقصد ليوطي هنا أن الجنرال موريس سيزار بيلي، قد عمل إلى جانبه سنة
1913 بالمغرب، حيث أسس وقاد «القوات المساعدة المغربية». ولد سنة
.1863، وتوفي سنة 1924
هو الجنرال بول هنريس، الذي عمل بالسودان أولا، ثم بالجزائر لاحقا إلى
جانب الجنرال ليوطي، قبل أن يلتحق به في المغرب، من سنة 1912 إلى
سنة 1916، حيث سمح ليوطي بالإلتحاق بقيادة الجيش الفرنسي بباريس
.للمشاركة في الحرب العالمية الأولى. ولد سنة 1862 وتوفي سنة 1943
هو الجنرال لوي فيلليكس إسبيري، الذي كان قائد قوات التدخل
الإستعمارية الفرنسية بالمغرب بين 14 غشت 1912 و 20 نونبر 1913.
.من مواليد 1856 وتوفي سنة 1942
.في إحالة هنا، إلى هزيمة ألمانيا المذلة أمام ألمانيا سنة 1870

إذا أردتم السلم، فكونوا أقوياء

(تتمة)

كشفت الحرب لفرنسا عن «الكثيف الزغب» (1). و»الكثيف الزغب»،
يعرفه المستعمرون منذ زمان، بذات المعنى الذي سمعته لأول مرة، منذ
وأن تجهل فرنسا الأمر، فأنا المؤهل أكثر من أي أحد لتفسير .فترة، ببلادنا
ذلك، كوني التحقت بمجموعتكم المقدسة، وأنا في الأربعين. كان ذلك
بالطوكان (2)، التي التحقت بها بعد أن قضيت 20 سنة في الجندية
بفرنسا، حيث تدرجت بين مكاتب القيادة العامة، والمناورات وألعاب
الحرب، غارقا في جهل بالأمور، بل أستطيع القول، غارقا في الإزدراء
الذي كان قاسما مشتركا بين رفاقي لكل أولئك الجنود الإستعماريين، الذين
.كنا نعتقد حياتهم حياة دعة تحت سعف النخيل
ما زلت أتذكر جيدا شعوري الديني عند أول لقاء هناك، على حدود
الصين، أمام أولئك الرجال الغلاظ الشداد، خدام فرنسا العظيمة، وهم
يمارسون مهامهم بدون انتظار أي دعم أو أن يعترف لهم بذلك. وأتذكر، لا
أزال، حين وصلت ثلاث سنوات بعد ذلك، إلى مدغشقر، حيث رماني
الجنرال غالييني، وأنا بالكاد أصل هناك، إلى جبهة من جبهات المواجهة.
وفي ذات الليلة كان علي أن ألتحق بمركز القيادة، وأن أقوم بجولة للتعرف
بالمنطقة إلى جانب خنازير البحر، ولم أر الرجال الذين سأقودهم سوى في
الصباح، بعد إطلاق نداء الحضور. كانوا، بسبب انقطاع الإتصالات وأن
لا شئ يتجدد، رثوا الثياب، بدون أحذية، وتعلو وجوههم صفرة فقر الدم،
وبعضهم لا يزال يجتر آلام جرح قريب، لكنهم جميعهم باسمون وبريق
.يعلو أعينهم. تلك العيون الفرنسية التي يغرق في تأملها كل قائد
نعم، إنهم ذات «الكثيفي الزغب»، الذين اكتشفهم الشعب الفرنسي عشرين
سنة بعد ذلك، ولن أنساهم. ومما أذكره أيضا، أنه بالجنوب الوهراني
(بالجزائر)، كانت فرقة تمر أمامي في استعراض ببلدة بشار، عند قدم
تمثال الموتى، قبل التوجه إلى منطقة «الكير العليا». وحين كنت أتأمل
أولئك الرجال السمر بفعل أشعة الشمس، بلباسهم العسكري المجعد
والباهث، قلت لمرافق لي: «هل نحن بعيدون إلى هذا الحد عن استعراض

بباريس بالشانزليزي». لكن، اليوم، شاهد الباريسيون ذوي «الزغب الكثيف» يعبرون بالشانزيليزي. وأنتم «كثيفو الزغب» قبل الحرب، الذين يرسمون الطريق، منذ سنوات، لمن سمحت لهم الحرب بالبروز.
لنقلها بصوت عال، إنه عند وحداتنا بالمستعمرات قد نحتت الآلة التي صنعت النصر. وهناك، تبرز جلية المسافة الهائلة بين مفهومين للحرب واحد ألماني والثاني فرنسي.
لقد رأيتم ما خلفته وراءها حربهم: فقط الدمار. فأينما عبروا، يتم تجريف الأراضي، ويعم الجفاف. بينما نحن كلما مررنا بمكان رفعنا فيه رايتنا، إلا وانطلقت الأشغال لمنح الحياة أسباب النمو، من خلال تخصيب الأراضي الراقدة منذ أزمنة بعيدة. لقد دمروا طرقنا وخطوط سكة الحديد ومعاملنا. بينما وراء قواتنا تفتح أسباب التواصل وتنمو شبكة الصناعات. لقد دمروا الآثار المقدسة الشاهدة على تاريخنا. بينما نحن نرمم ونبني. لقد حملوا إلينا الحزن والقتل والدمار، وقتلوا النساء والأطفال. وأينما رفرف علمنا، إلا والتجأت إليه الأقوام للحماية، لإدراكهم أنه يحررهم من الفوضى ويحمل إليهم السلام والحماية والخير العميم.
نعم، إن الحرب الإستعمارية، التي كم انتقدت وتجوهلت هي بامتياز حرب بناءة، ومشروع للسلم والحضارة، وعلينا أن نعلن ذلك عاليا ونعترف به.
ستفترق الآن راياتكم.، وإذا كنت قد جمعتكم قربي، أنتم قادة الجهات، فليس فقط من أجل خلق اكتظاظ بمقر القيادة العامة، بل من أجل أن تتسلموا يدا بيد هذه العلامات المقدسة، المثقلة بالمجد. احملوها معكم. فلن يغلق عليها مثل آثار عتيقة في صالات الشرف بالثكنات. فقد كانت بالأمس رايات للحرب، وغدا ستظل رايات للحرب. وعليها أن ترفرف في مقدمة الجبهات (بالمغرب)، من أول خيوط الفجر حتى غبش الليل. هناك، في وريغة وفي ملوية، وفي الأطلس وبتادلة، ستظل ألوانها الثلاثة منورة، تزين أعمال اليوم، في انتظار أعمال الغد. لأنه تنتظرنا مراحل أخرى غدا وبعد غد، حتى تختفي آخر آثار المقاومة من على خريطة المغرب، وعلينا أن نمحيها جميعها.
إن الأكيد، أن الأمر ليس تعطشا للغزو. وليس من أجل خدمة أجندة للهيمنة، نواصل مهمتنا المنجزة بالمغرب. إن هدفنا الوحيد، ومهمتنا الوحيدة، هي المحافظة على الأمن والسلم. السلم الذي نسعى إليه لأننا

نستحقه بفضل تضحياتنا. وإذا كنا نهفو إليه بكل شغافنا، فإننا ندرك أنه لن ننجح في تحقيقه سوى باستمرار القوة التي هي الوحيدة القادرة على تحقيقه وسيكون من العبثي تذكيركم أن العالم لم يستعد بعد توازنه وأن .وحمايته مستقبله لا يزال غامضا. والحال أن الأمثال القديمة صادقة حين تعلمنا:
.«««إذا أردتم السلم، فكونوا أقوياء»»و «الخوف أول الحكمة
وإذا كان المغرب، الذي لم نطوع سوى نصفه، حتى الآن، قد ظل بالنسبة لفرنسا في ساعاتنا الحرجة، منبعا احتياطيا، فكيف سيكون الحال حين سيصبح كله تابعا لنا وتحت سيطرتنا. إنه سيحررها من كل الفاتورة العسكرية، وليس فقط أنه سيجعلها تستعيد قواتها، بل إنه سيضاعف من حجم قواتها وثرواتها. حينها سيكون الإحتياطي الأكبر، الذي يفرض احترام العهود والإتفاقات ويضمن تحقيق السلام الماجد الذي ضحى من .أجله أبناؤنا، والذي من أجله قدم العديد من بيننا أرواحهم فداء
لتضعوا، ذلك دوما نصب أعينكم، وأنتم تنجزون مهامكم الصعبة بدون كلل في المناطق الصعبة (بالمغرب). وحيت يرتفع عندكم سبب القلق والإحباط، تأملوا فقط الألوان الثلاثة لرايتنا، رمز النصر والواجب والأمل. انطلقوا أيها الحراس، يا «كثيفي زغب» المغرب، فالرايات معكم .محمية

:هامش

أطلق هذا الوصف واللقب على الجنود الفرنسيين خلال الحرب (1) .العالمية الأولى، خاصة من فرق المشاة، كناية على أنهم فحول أقوياء
الطوكان، هي المنطقة التي احتلتها فرنسا من الفيتنام سنة 1884، (2) .ضمن ما استعمرتهم من دول ومناطق بالهند الصينية

أزمة انهيار العملة المغربية للريال الحسني سنة 1919

الرباط: 24 نونبر 1919

لأول مرة، منذ مغادرتي لوزارة الدفاع الفرنسية، ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى)، زرت فرنسا حيث قضيت هناك شهري شتنبر وأكتوبر.)

وخلال غيابي، حدثت هزة كبيرة بسبب أزمة مالية خانقة، نتيجة انهيار (المغربية)العملة الحسنية.
جمعت، بعد عودتي، الغرف التمثيلية الفرنسية، حتى أضعهم في صورة نتائج زيارتي إلى فرنسا، وأن أستعرض أمامهم الوضعية العامة، وأدعو الجميع إلى التهدئة. كانت انتخابات 1919، قد أجريت في جو من الوحدة الوطنية، مما جعلها حدثا مهما. وعدت من باريس، أخيرا، بالترخيص الذي يسمح بإنجاز أول شطر من السكك الحديدية المدنية العادية، والتي كانت الإتفاقيات الدولية الموقعة حول المغرب لا تسمح بإنجازه.
كان لزاما علي أن أذكر الجميع، أيضا، أن مبدأ الحماية، المؤطر بنصوص اتفاقيات دولية، قد تم تجديدها ضمن ذات روح تلك الإتفاقيات. خاصة وأن في ذهن البعض اعتقاد أن تلك الإتفاقيات ستلغى بعد الحرب. وكان علي أخيرا أن أبرز لهم، أنه في فرنسا، بعد الحرب، أصبح هناك اهتمام جديد وأقوى بالمغرب. فألقيت الكلمة التالية أمام الغرف التمثيلية) الفرنسية بالمغرب، من غرفة التجارة وغرفة الفلاحة):
« لقد حرصت على لقائكم، مباشرة بعد عودتي من فرنسا. لقد اجتزنا مؤخرا أزمة قاسية، والتي لا تزال تبعاتها قائمة وجدية. ولقد أبنتم خلالها عن حس رفيع من المواطنة والوطنية، وأنا أشكركم على ذلك عاليا. لقد تلقيت وأنا في باريس، رسائلكم المستعجلة، التي كانت تضعني، بلغة قلقة لكنها جد مؤدبة، في صورة المشاكل التي تسببت في أزمة الصرف. ولقد استحسنت فيكم، هدوءكم، الذي هو مهم في وضعيات مماثلة، ولقد كلفت السيد «بلون» (1)، أن يخبركم بذلك. فالموقف الذي اتخدتموه هنا، فعال جدا. لأنه حين نكون في مواجهة مشاكل صعبة مماثلة لمشكل الصرف، حيوية مسألة التشاور والإنصات لبعضنا البعض. وكان مهما أيضا أن يجد المرء دوما أمامه من يحاوره وينصت إليه.
وأنا أعترف لكم بذلك هنا، بكل أخوية وتواضع، فإني أهتبل هذه المناسبة، لأوجه تحية وشهادة تقدير إلى مساعدي الذين وجدوا أنفسهم فجأة أمام مشكلة عويصة، خاصة الذين تحملوا من بينهم، ثقل المسؤولية الكبرى لمواجهتها، وهم السيد أوربان بلون والسيد بييتري. لقد واجهوها بصلابة موقف وببرودة دم ورزانة تستوجب مني التحية والتقدير. ولقد برهنوا لي، وأنا غائب، أن من يعوضني في مهامي في مستوى المنتظر منهم، وأنهم

في حضوري يعتبرون فعليا سندا لي. وأنا معهم أستشعر قوة وأمانا أكيدين.

بعد هذا كله، تيقنوا أنني مدرك تماما لخطرة الوضعية المالية وآثارها السلبية على المصالح المشروعة لكم. ولا أستطيع، حتى الآن، أن أعدكم بحلول ناجعة لها. وهذا ليس لأنني أحاول التهرب من مسؤولياتي، ولا من اتخاد القرارات الواجبة حولها. بل، لأنه ليس هناك ما هو أخطر في وضعيات صعبة مماثلة، من اتخاد القرارات المتسرعة غير الدقيقة والواضحة. وأعتقد أنكم موقنون، أنني تتبعت أمر الأزمة هذه بباريس بعناية خاصة. ولد بلغتني أصداء متباينة عن الحلول الممكنة الناجعة. ونفس الأمر تحقق معي منذ عودتي إلى المغرب منذ 3 أيام. بالتالي، فإن واجبي يفرض علي التريث حتى ألتقي السيد بيرون، المفتش العام للمالية للمغرب). فهو الوحيد،)هنا، الذي يوجد الآن في جولة بالجهات الداخلية المبعوث من فرنسا، الذي يحكم بتوازن واستقلالية، بين مختلف المصالح، والمؤهل أكثر من أي كان، بحكم مسؤولياته وكفاءته التقنية، لمقاربة المسألة من زاوية المنفعة العامة. فهو الوحيد، إذن، الذي سيقدم لي التوضيحات اللازمة، ولا أريد بالتالي أن أتخذ أي قرار قبل أن أنصت لأطروحته وأنصت أيضا لكل المعنيين بالملف.

لكن، رغم ذلك، يمكنني اليوم مناقشتكم في أمر محدد آخر. وهو أن هناك اتفاقا جماعيا ورغبة صادقة، للوصول إلى تحقيق وحدة مالية، هنا، في أقرب الآجال. وما الذي تعنيه عبارة «في أقرب الآجال»؟، وضمن أي إطار، وبأية حيثيات يمكننا تحقيق تلك الوحدة النقدية؟. ذلك ما لا يمكنني الجزم به قبل لقاء السيد المفتش العام للمالية، وقبل أن أطلع على النتائج النهائية لتقريره.

لكن، على حال، هناك أمر مؤكد، فإنه في قضية مماثلة، حيث تمة مصالح متعددة في الميزان، ليست فقط محلية أو فرنسية، بل دولية أيضا، فإن الأمر يستوجب حلولا لسنا وحدنا من يتحكم فيها، وأنها لا تتخذ بمجرد جرة قلم. لقد أرسلت لكم تلغرافا يشرح ذلك، وأعيد الأمر عليكم الآن هنا، إن الأزمة الاقتصادية ليست خاصة فقط بالمغرب، بل أزمة عالمية. وفعلا علينا أن نعترف بأمر، حتى لا نخلط الأمور، فالأزمة بالمغرب ذات خصوصيات مؤكدة، وأنها أزمة خطيرة، لكننا جديا يجب أن نعترف أنها

بذات الدرجة في دول أخرى. صحيح، أنه في فرنسا مثلا، لا تطرح أزمة الصرف بذات الشكل التي هي به في المغرب، لكن مهما كانت تلك الإختلافات، فإنها تبقى تحديا، يجعل الحكومة الفرنسية لن تتردد في اتخاد الإجراء اللازم لتجاوز الأزمة. وفي البلدان التي لم تواجه أزمة صرف، فإن الأزمة المالية قد تبدت من خلال مظاهر أخرى مختلفة، لكنها خطيرة فالأزمة عامة إذن، وهذا أول مدخل علينا تمثله ومواجهته. فالهزة .أيضا التي واجهها العالم كله، لا يمكن أن لا تكون بدون ارتدادات اقتصادية، .والتي ستدوم طويلا

إن ما أقوله لكم هنا، ليست الغاية منه البقاء في العموميات، بل لأحملكم على وضع الأصبع، على حقيقة الأزمة المالية الخطيرة والعامة، التي .تستوجب منا أن لا نجد لها فقط حلولا ارتجالية أو اقتراحات متسرعة

(يتبع)

:هامش

السيد أوربان بلون، كان هو المندوب بالإقامة العامة الفرنسية بالرباط، المكلف منذ يوم 20 ماي 1919، ولقد عين بدلا من السيد لاليي دوكوردي

لا تخلطوا الأمور، المغرب دولة مستقلة تحميها فرنسا

(تتمة)

الرباط: 24 نونبر 1919

بعد أن استعرضت معكم الموضوع الذي يقلقكم في المقام الأول، يفرض علي الواجب، أن أنقل إليكم بعضا من انطباعاتي التي عدت بها من فرنسا. هناك واحدة منها تحتل المقام الأول. إنها الأزمة التي أطلق عليها إسم «أزمة الكسل»، التي تستشري منذ أشهر. صحيح، هي ليست عامة، إذ في القرى وفي المناطق المحررة، هناك مجهود ذاتي رائع للإنتاج

وإعادة البناء. لكن الأزمة تلك، المؤسفة والواضحة، تطال عددا من قطاعات الإنتاج التي تستوجب عملا مضاعفا أكثر من ذي قبل. إذ، لم يعد ممكنا أن تستقل قطارا بدون أن تواجه مشاكل معقدة. ولم يعد ممكنا ضمان إرسال بضاعة في رحلة مشكوك أن توصلها بأمان. ولم يعد ممكنا التيقن، من أن طلب خدمة ما، سيتم الوفاء به في التوقيت الموعود. فيما الشق التقني كما لو أنه أصيب بعطب. تمة، بوضوح، أزمة سلطة وتنظيم وانضباط.

وليس هناك مواطن واحد، ليس قلقا بخصوص ذلك الوضع. فقد لمست صدى لذلك عند الجميع، سواء في ليون أو مارسيليا أو باريس. بل وجدت صداه حتى عند السيد رئيس المجلس الذي كانت كلماته كلها دعوة متواصلة للعمل وبدل الجهد، والذي ترك لدي انطباعا، بعد تشريفه لي بقبول استقبالي، بإلحاحية العودة بسرعة إلى العمل والنظام والحزم.

وعلي تسجيل أنه بين وصولي ومغادرتي، وقع أمر جديد، لا يمكن التجاوز عليه، هو تنظيم الإنتخابات. لقد غادرت دون أن أعرف نتائجها النهائية، لكني لمست الظروف التي التهييئ لها. وأستطيع الجزم أن الهم السياسي كان باهتا بها. فلم يكن شكل المؤسسات موضوع مساءلة من أي كان، ولا أحد من التنظيمات الهامة عدديا طرحت ذلك.

إن الموضوع الذي طرح وطغى أكثر هو، الإختيار بين النظام والفوضى. بين من يريدون للبلاد أن تنخرط في العمل، وتداوي جراحها، وتستعيد ثرواتها، في ظل النظام والهدوء والأمن، وبين من يريدون مواصلة تصعيد التوتر. والشعور العام هناك، هو أنه لا يمكن أبدا التفريط في النمو الإقتصادي لصالح من أنزلنا بهم هزيمة عسكرية نكراء. إن الأساس الصلب للأمور كامن هنا، أنه يفرض على الجميع الوحدة والسلم الإجتماعي. وإن شعورا مماثلا، يفرض على كل من له مسؤولية السلطة، واجبات واضحة.

لقد عدت إلى هنا، بعقد جديد. والمسؤولية التي تقع على كاهلي ليست

دائما بسيطة ولا سهلة، لكن إحساس خدمة بلادي هو الغالب. ولقد تم إشعاري، أن إعادة بعثي إلى هنا، هو قناعة راسخة عند من بعثني. وها أنا أعيد تحمل مسؤوليتي بوعي كامل بواجباتها، التي تلزمني بعدم التفريط في أي نقطة تساهم في تنمية هذا البلد، وأيضا عدم التفريط في ضمان الأمن به والنظام. ولن أتردد في التعويل على دعمكم أنتم، الذين جئتم للتعبير لي عن حرصكم على القانون والنظام، وأيضا على التعاون. وأنا متقين من أنكم ستكونون عونا لي، وعلى آخرين غيركم، لكي نرسخ جميعا هنا نظاما ببيتنا (المغربي)، ولتطهير الأجواء من خلال القضاء على الحركات المعرقلة والأفكار المشوشة والصراعات الذاتية، التي كلها تعطل العمل المخصب والفعال.

إن الأمن في العمل، نحن في حاجة ماسة إليه أكثر من ذي قبل. وأن نقوم بذلك بسرعة أعلى. لقد انتبهت في فرنسا، التي لم أزرها منذ 3 سنوات، إلى الإهتمام والرهان الذي أصبح على المغرب هناك. والمسافة التي خلقتها ظروف الحرب، بيننا وبين وطننا الأم، قد تقلصت. وأصبح اليقين متعاظما حول الفوائد التي ستجنيها بلادنا من فضاء مماثل، وأنه حيوي لقد فهموا هناك، هذه المرة، أن الخطوة .الإستثمار في وسائل الإنتاج به الأولى للتنمية الإقتصادية بهذا البلد هي الإسراع بإنجاز خطوط السكة الحديدية. ولقد عدت أخيرا بالإذن لإنجاز خط «بوتي جون» (سيدي قاسم أي ربط خط طنجة فاس مع .حاليا)/ القنيطرة/ الرباط/ الدارالبيضاء موانئنا، وإنجاز الخط الكبير الذي سيوحد بين كل مناطق احتلالنا بشمال إفريقيا.

لقد بعث معي وزير الأشغال العمومية المهندس الكبير السيد «ديلبي»، الذي سيتولى هنا مهمة المدير العام للأشغال العمومية، بينما تم الإبقاء على السيد «دولير» بباريس، مكلفا بمهمة تمثيلنا عند الوزارة وعند للبرلمان)، من أجل تتبع وتسريع الحلول التي تهمنا، بكل)اللجن الكبرى ما يمتلكه من سلطة وتجربة بالمغرب. وما دمت أحدثكم عن خطوط

السكة الحديدة، مستندا على رجاء محلي سابق كنت توصلت به، اسمحوا لي أن أنبهكم من ما نسميه «الفكر المناطقي». فلا مجال له بالمغرب، الذي في هذه الظروف الأولية للإنجاز، لا بد من أن تنتصر المنفعة العامة في المقام الأول. فلن يتفهموا ذلك أبدا في فرنسا، التي تقرر فيها تقديم الدعم الكامل لإنجاز المشاريع الكبرى بالمغرب، التي لا يمكن .تعطيلها بحسابات خاصة لهذه الجهة أو تلك

هناك موضوع آخر، لا يمكنني التغاضي عنه. إنه المتعلق بمبدأ الحماية لقد عدت من باريس باليقين الواضح، المعبر عنه من قبل جهات .نفسه نافذة، أنه لا يمكن المس بها أو مناقشتها.فنظام الحماية ليس مسألة رأي، لا شخصي ولا محلي ولا فرنسي. إنها واقع تحدده مواثيق واتفاقيات. وهي مضمونة من قبل مواثيق دولية لا سلطة لأي واحد منا أو للحكومة الفرنسية تعديلها. والنتيجة هي أن المغرب دولة مستقلة تحميه فرنسا، وأنه تحت سلطة السلطان بنظامه الخاص. ومن الشروط الأولى لولايتي، .هي أن أضمن وحدة نظامه السياسي واحترامه

إن من نتائج هذه الوضعية، أن المؤسسات السياسية الفرنسية لا مكان لها بالمغرب. فمواطنونا هنا، لهم الحق في تأسيس تنظيمات وتمثيليات مهنية، أمام التمثيليات والتنظيمات السياسية، فلا. بالتالي، فكل النقاشات المثارة حول هذا الموضوع، ليست سوى حبرا ضائعا، وجهدا بلا طائل. وأضيف، ولن أعود لهذا الأمر مجددا، أنه بفضل أن ذلك مضمون باتفاقيات دولية، فإن مطالب مماثلة، ليس فقط أنها ليست ذات موضوع، بباريس) هي أول من)بل إنها خطيرة ومضرة، وأن الحكومة الفرنسية .سيتصدى لمنع ذلك

لنحصر جهودنا وكلماتنا، إذن، في جهود الإصلاح المنجزة والمخصبة. وعلى المستوى المهني، فإن ما علينا القيام به في المجالين .وهي وفيرة الفلاحي والتجاري، هو كبير. والآن، بعد هذا اللقاء الأول الذي جددت فيه الإتصال والتواصل مع أشرف وأنبل مساعدي، فإن غايتي هي أن

تنظيف الأرض من كل الشوائب العالقة بها. ولست في حاجة إلى التعبير لكم عن رغبتي الجارفة للعمل معكم، أكثر من ذي قبل، لتنمية المغرب. ومنذ رحلتي إلى فرنسا، وأنا متشبث بذلك أكثر، ليس بالضرورة لأسباب ذاتية عدة، بل لأنني لم أستشعر أبدا مدى ما ستجنيه من ذلك فرنسا، مثل .اليوم، وأي دور محوري منذور لها أن تلعبه في تقدم ونهوض هذا البلد إنني أدعوكم إلى الإنخراط في العمل الموحد، مسنودا بفرح إحاطتكم لي .مستعدين للتحدي

قلق مولاي يوسف من محاولة تعديل اتفاقية الحماية

الرباط: 7 دجنبر 1919

تم استقبالي من قبل السلطان (مولاي يوسف)، حيث قدمت له رسالة شكر من الحكومة الفرنسية، على دعمه ومساعدته لنا. مؤكدا له أيضا بوضوح مجددا مبدأ الحماية الذي كانت له حوله بعض المخاوف. (وألقيت أمامه الكلمة التالية):«جلالتكم،تغمرني سعادة خاصة، أن أنقل إلى جلالتكم الرسالة التي كلفني وزير الشؤون الخارجية الفرنسية، باسم حكومة ، وألتمس منكم الإذن لي بقراءتها أمامكم بصوت .(الجمهورية (الفرنسية

عال مسموع:[لقد وضعني الجنرال ليوطي في صورة الحوار الذي جمع جلالتكم معه بعد عودته إلى الرباط. وإذ أشكر جلالتكم على قوة مواقفكم النيرة، التي أبنتم عنها منذ تفجر أزمة العملة، التي لم يكن ممكنا الإفلات منها بسبب الظروف الدولية الحالية. ولقد أخرت، الإجراءات المتخدة بالمغرب، من قبل الحكومة الشريفية، من حدوث تلك الأزمة، محاولة التخفيف من آثارها قدر الإمكان. ولقد أبلغكم الجنرال ليوطي، قبل مغادرته فرنسا، عبارات الصداقة والثقة والإمتنان لجلالتكم، التي عبر له عنها السيد رئيس الجمهورية وكذا أعضاء الحكومة.وإني أحرص، هنا، شخصيا، على أن أجدد لجلالتكم، التوضيحات والتطمينات التي ما لبث يتلاقاها من حكومة الجمهورية بخصوص نظام الحماية، الذي تضمنه الإتفاقيات، المتأسسة على سيادة جلالتكم وعلى دور المخزن، مع الحفاظ على المؤسسات التقليدية للإمبراطورية الشريفية، واحترام المغاربة. إنه من خلال، الإطار الواضح لهذه المؤسسات الخاصة، سيواصل المغرب بشكل أفضل تنميته المادية والإجتماعية، أمنه وقوته، وسيتوحد أكثر مع فرنسا الذي تربطه به علاقات متينة، صنعها السلم مثلما صنعتها الحرب].إن هذه العبارات، تأتي لتعزز بشكل واضح وصارم، موقف حكومة بلدي العظيم، والذي كان لي شرف توجيهه إليكم بعد عودتي (من فرنسا). لقد تم التأكيد على أنه ضمن هذا الإطار الواضح للمؤسسات الخاصة سيتمكن المغرب من التقدم بشكل أفضل. ولقد حرصت حكومة الجمهورية، بشكل نهائي، وضع حد لكل نقاش أو سوء فهم أو شك في ما يتعلق بأساس نظام الحماية ومستتبعاته.ليتيقن جلالتكم، ومخزنكم وشعبكم، باطمئنان وثقة، من احترام نظام مؤسسات إمبراطوريتكم، التي وثقوا أنها .لي المسؤولية الكبرى لضمان حمايتها إلى جانب جلالتكم المهمة التي سأنجزها كاملة«.

الرباط: 1 يناير 1920بسبب الأزمة العالمية الخطيرة، والجهود والتضحيات التي تستوجبها، كان لزاما علي التذكير بالوضعية العامة

وخطورة الأزمة الإقتصادية والإجتماعية منذ الحرب (العالمية الأولى) للمعمرين الفرنسيين بالمغرب. فوجهت إليهم هذا النداء، من خلال كلمة ألقيتها في حفل استقبال لهم بالرباط، لبدل مزيد من الجهد والتضحيات، مع الحرص على الإنتصار دوما للمصلحة العامة، بدلا من الحسابات الخاصة والشخصية. فكانت هذه الكلمة:«أشكر السيد أوربين بلون والجنرال كوتيز، على جميل عواطفهم التي عبروا عنها، باسم موظفي الحماية وجسم الإحتلال.ومع مطلع هذه السنة الجديدة، أود أن أذكر السيد بلون، بمدى امتناننا في المغرب، ونسعد بقيمة ما ينجزه من عمل، بفضل غنى تجربته وحنكته المجربة. وأيضا إلى الجنرال كوتيز، مدى تقديري للدعم الذي يقدمه لي بالقيادة، بضمير مهني عال. وفي غياب السيد بيرنودا (عميد المعمرين بالرباط)، الذي نأسف له، بسبب أوضاع صحية لبعض من أقاربه، فإنه كان طبيعيا أن المؤهل للحديث باسم المعمرين الفرنسيين بالرباط هو السيد بوتي، الذي أشكره على طاقته الإيجابية التي أبان عنها دوما في دفاعه المستميت عن مصالحكم. وما تفضل به من كلمات تقييمية للمنجزات المتحققة خلال هذه السنة، تشرفه عاليا. لأن تلك المنجزات، هي الدليل والضمانة الراسخة على إرادتنا على إنهاء، في أسرع وقت ممكن بشكل جيد، ما أشرتم إليه من مشاريع والتي نلتزم بها كاملة.إنني أريد أن أحتفظ من كلمات السيد بوتي، عبارة: «أكثر حبا»، التي حرص على تخصيصي بها. حقا، علي بحكم مهامي ومسؤولياتي، أن أترفع عن كل مقاربة عاطفية، وأن أرتقي إلى ما يفرضه علي ضمير تلك المسؤولية، مخافة السقوط في اللاشعبية. لكنني لا أخجل من أن أعلن أنه كم هو ممتع الإشتغال ضمن جو للرفقة والتقدير، الذي يسرع ويسهل من إمكانية الإنتاج والعطاء بشكل أسلس ومخصب. وإن روح هذه العواطف الجياشة التي حملتم معكم إلى هنا بدار فرنسا المفتوحة أمامكم، استشعرتها دافئة وأشكركم عليها. وضمن أجواء الثقة والجدية هذه، أتوجه لكم بكلمتي، بصفتي رئيس الحكومة، مع مطلع السنة الجديدة، أنتم كل

فرنسيي المغرب، سواء من الدار البيضاء أو الرباط وباقي البلاد، معمرين وإداريين وموظفين وجنود.علينا أن نخفي عن أنفسنا، أن السنة الجديدة ستكون صعبة أكثر من غيرها. فكل المشاكل، وأصعبها، تطرح أمامنا دفعة واحدة، ليس في المغرب فقط، بل في باقي العالم. وليس في نيتي، هنا، أن أقدم أمامكم عرضا حول الوضعية العامة. فاطلاعكم على الصحف الفرنسية والأجنبية، ينوركم في هذا الباب. وأيضا من خلال ما يصلكم من مراسلات، وأيضا من خلال الإنطباعات التي يعود بها كل من زار فرنسا. فالعالم في حالة تحول وثورة، وإن كان ذلك ليس بالمعنى السياسي، فإنه بالمعنى العام للكلمة. ولقد علمتنا دروس التاريخ، أن من يعيشون الأحداث التراجيدية، هم أقل من يدرك أهميتها البالغة. لقد قرأنا بعض مذكرات نهاية القرن 18، حيث نجد أناسا طيبين يمارسون حياتهم بشكلها العادي، اليومي، لأنه لاشئ تغير في محيطهم العائلي الضيق، بينما حركة التاريخ تفعل فعلها فوق رؤوسهم.إني متأكد، أنه لو وقعت مذكرات ويوميات بعض من رومان القرن 5، بين أيدينا سنجد فيها تفاصيل للحياة اليومية العادية، بينما في الجوار كانت تحدث واحدة من أعظم ثورات التاريخ بالعالم، المتمثلة في انهيار النظام العالمي القديم وميلاد نظام عالمي جديد. والحال، كيف كان العالم المكتشف المعروف حينها؟. إنه لا يشكل سوى العشر من مجموع الكرة الأرضية. بينما اليوم، فإن الهزة قد شملت كل الكرة الأرضية، التي غيرت كل مناحي الحياة بها، وولدت نظاما جديدا وأنهت توازنا علينا انتظار سنوات قبل أن تستقر الأوضاع بعده.(يتبع)

ماذا لو عاد امرؤ من سنة 1814، إلى الحياة، ما الذي سيقوله عنا، في 1920؟

(تتمة)
الرباط: 1 يناير 1920

لنتصور رجلا تم تنويمه في سنة 1814، واستفاق في 1914، هل سيستوعب صورة العالم في أبعاده الجغرافية وضمن شروط العيش الإجتماعية الجديدة. ورجل تم تنويمه يوم 1 يناير 1914، واستفاق يوم 1 يناير 1920، وتجول في أروبا، فإنه لن يصدق عينيه، أمام حجم المقابر بملايين القبور التي تضمها، وأمام حجم الدمار الكارثي، ومن الخراب الضاج، وفقدان جهات بكاملها لملامحها الأصلية، والإنقلاب الذي طال كل مناحي الحياة الإجتماعية العادية، من إنتاج الثروة والتغدية والنقل. نعم، إننا نعيش أزمنة غير مسبوقة. وعلينا بعض مسافة حتى نستوعب ذلك بوضوح.
لتلقوا نظرة، فقط، على أرقام بلاغ البارحة الصادر عن وزارة المالية، حيث ستجدون حديثا عن مئات الملايير، التي لم نكن أبدا نتخيلها قبل الحرب، حيث كنا نتحدث فقط عن عشرات المليارات، والتي كنا، حينها، نعتبرها ضخمة وهائلة. لقد تغيرت كل المقاييس، ولم تعد ذات الكلمات تعني ذات المعاني. والصيغ القديمة أصبحت مجرد عناوين فارغة لأمور باهتة.
إن السلم لم يصبح شاملا بعد. ففي روسيا وبولونيا والشمال الشرقي لألمانيا وفي آسيا الصغرى، لا تزال الحرب مشتعلة، حيث القتل ضاج والسرقات والحرائق والأمهات تذرفن الدموع. وإذا حرصت على أن أرسم أمامكم هذه اللوحة الصغيرة، التي أؤكد لكم، أنها ليست غارقة في نبرة يائسة ولا في لغة عنيفة، فلاستخلاص بضع دروس منها وحتى نتصالح مع ذواتنا. ولننتبه أننا في المقام الأول، محظوظون، نحن الذين بقينا بعيدين عن كل هذه المأساة، الذين لم نعاني لا من قر البرد ولا من المجاعة، المطمئنون أن لنا سريرا سنؤوب إليه كل ليلة، ولنا سقف وأنا حياتنا آمنة.
وأيضا، حتى نعطي المسافة الواجبة للأمور، التي تعيدها إلى حجمها الطبيعي والعادي. كي نستوعب، أمام حجم المخاطر، كيف ستتقلص أشياء

عدة التي تكون سببا للكثير من قلقنا. لأننا حين ننظر إلى السفح من فوق مرتفع، فإن الهضاب والأشجار والمنازل، التي مشتتة في أسفل المشهد، هكذا، يجب أن تظهر لنا، أيها السادة، الكثير من .تبدو لنا صغيرة وباهتة أمور المصالح الخاصة الصغيرة، التي نقيم الدنيا حولها، ولا نصل فيها سوى إلى مزيد من الخسارات للزمن والجهد، اللذين غير مسموح لنا البثة .إضاعتهما

إليكم، أنتم أيها السادة المعمرون، يا رفاقي الأعزاء، أتوجه بالرجاء أن لا تسقطوا من أعينكم غلبة المصالح العامة. وأن تسهلوا، مهامنا الصعبة أصلا، من خلال تحريرنا من النقاش الفارغ الذي أعتبره زوبعة في .فنجان، من خلال قيامكم أنتم بالفرز العقلاني بين مطالبكم

إليكم، أنتم أيها السادة الموظفون، المدنيون والعسكريون، لأن أجواء المكاتب متشابهة، مهما كان نوع اللباس الذي نرتديه، فإنني حرصت أن أشرككم في واقع الحال، الذي يفرض شكلا جديدا للمقاربة، بأساليب جديدة تماما. لأن الصيغ القديمة استنزفت زمنها. ولم يعد الأمر مجرد تعديل في النظارات، أو بإعادة رسم عناوين الرفوف، أو غربلة بدقة ما سبق، أو السقوط في شرك التنظيم الدقيق. إن ما هو مطلوب، اليوم، هو رؤية الهدف بدقة، فقط الهدف ولاشئ غير الهدف، وأن نهيئ كل الإمكانيات للوصول إليه بسرعة. إن المطلوب، اليوم، هو امتلاك رؤية شمولية .واسعة، والرؤية إلى الأمام وتحقيق الإنجازات

إنني مسكون بهذا الإحساس حد الهوس. فهو يسكن كل أيامي ليلها ونهارها. لأنه ذلك قدري ما دمت أتحمل مسؤولية ضمن حكومة بلادي، وعلي مواجهة المشاكل التي تواجهني في كامل ضخامتها. وددت لو استطعت أن أستنسخ إلى أعداد كثيرة، حتى أهمس في أذن كل واحد منكم: «لا تقصوا الشعر إلى مربعات، واتركوا هذه التفاهات. بل أنجزوا، بعد .«التحليل، للوصول إلى نتيجة

لقد حرصتم على توجيه تحية لقواتنا، مست شغاف قلبي، وهم يستحقونها ولو لم أكن الجنرال القائد، مرتديا ذات البدلة، سأكون في حل من .تماما أقول عنهم كل ما أريد، وما أحمله عنهم من تصور. وأشكركم على تذكر أنهم هنا بيينا، وأنهم بفضل ما يقومون به يوميا، من مواجهات، يتم إنجاز .كل ما يتحقق في هذه البلاد

إنها وضعية مثيرة، لا نظائر لها، أن نتأمل بلادا، ثلث أبنائها يقاوموننا، وعلينا مواجهتهم، ورغم ذلك تتقدم المواصلات فيه، والسكة تمتد كل يوم، والمنجز الإستعماري يتطور بدرجات عالية وبسرعة، لا نظائر لها في أي مكان آخر. ففي ظهر جسم للإحتلال منخرط في المعركة، والذي يرسم لنا حدود البلاد التي استسلمت لنا، تصلنا يوميا، ونحن في المدن الشاطئية ننعم بالأمان والحياة العادية، لائحة الخسارات بينهم الذين يسقطون بقوة النار، حيث البلاغات تحمل إلي، كل ليلة، الرسوم البيانية والإحصائيات الخاصة بالضحايا وبالنصر. فكثير من بينكم، يعرف طبيعة الواقع في البلاد المتقدمة من المغرب، حيث لا مجال للراحة والدعة، ولا نستطيع كلنا أن نوفي من يواجهون الخطر، هناك، حقهم كما يجب.

وأنا أتوجه إليكم بأجمل الأماني، بمناسبة هذه السنة التي نراها واعدة، اسمحوا لي أن أختم معكم على روح «النوتات الثلاث»، التي كم أود أن أبصمكم بها وأنتم تغادرون هذا المكان:

الإمتنان والتقدير لقواتنا التي تحميكم وتحمي نمو شركاتكم.

امتحان دائم للضمير، وأنا من ضمنكم، لنسائل أنفسنا، إن كان الجهد الذي نبدله، ونكران الذات في كل آن وحين، هما في مستوى ما يقدم من تضحيات عظام.

الإصرار على البدل من طاقاتنا وإراداتنا، حتى تكون في مستوى الظروف الصعبة والهائلة والمقلقة جدا، التي تعيشها البشرية.

منحي تمثال النصر البرونزي «ساموتريس» بالألزاس

ستراسبورغ: 23 غشت 1920

حرصت الجمعية الكاثوليكية الأمريكية لفرسان كولومبوس، على منحي في حفل لها بمدينة ستراسبورغ (الفرنسية)، عند قدم تمثال «كليبر» (1)، التمثال البرونزي للنصر «ساموتريس» (2). تقديرا لجهود فرنسا الإستعمارية، خلال الحرب.

كنا، نلتقي، غداة أحداث بولونيا، التي تم فيها إنقاد أروبا من الخطر البولشيفي السوفياتي، بعد قرار الرئيس ميللران، وتدخل الجنرال ويغوند، بالإتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد احتلت تلك الأحداث جزء هاما من الكلمات المتبادلة (بستراسبورغ). ولقد ألقيت أنا الكلمة التالية:
حين تلقيت منذ 3 أيام اتصالكم، ظهر لي أن تمة الكثير من القادة ممن » يستحقون هذا الشرف أكثر مني، وبدأت أستشعر أنني أسرقه منهم. لكن إلحاحكم المتجدد، وما عبر لي عنه رئيس مجلسكم قبل البارحة، بمدينة هو الذي حملني على قبولها. لقد أدركت أن الأمر في (نانسي (الفرنسية الواقع، ليس تكريما لشخصي، بقدر ما هو تكريم للقوات التي كان لي شرف قيادتها، وإلى الجهد الإستعماري لفرنسا.
لقد حرصتم، على أن تتقدموا بشهاداتكم، إلى هذه «الجبهات الخارجية»، التي حقيقة بقيت في الظل، بينما الحرب مشتعلة فوق أرضنا. علما أنها لم تكن أبدا في عطلة أو حالة سلم، والتي لا تزال منخرطة إلى اليوم في لقد أردتم، إذن، أن تحيوا الجهد الإستعماري لفرنسا، .معارك بلا هوادة لأنكم الأكثر تأهيلا، لإدراك أننا ننوب عنكم في ذلك، أنتم رواد العالم الجديد، الذين أسستم لتربة بلادكم، قطعة قطعة، ووهبتموها أسباب الحياة، ، واحدة من المنجزات التي تشرف كامل (وجعلتم منها (بعد ثمن كبير البشرية. فأنتم أهل إنجاز بامتياز، إلى الحد الذي يجعلنا، حين نريد تحفيز اعملوا على الطريقة » :أنفسنا وبعضنا البعض، نقول في تعليماتنا الأمريكية«.
لقد حرصتم، أيضا، على أن يتم هذا التكريم بمدينة ستراسبورغ، فوق أرض الألزاس الغالية على قلوبنا جميعا، المستعادة البارحة. وإذا كانت بؤرة للكثير كبار الجند، فهي أيضا بؤرة لرواد من فرنسا الخارجية. بالجزائر، حيث يحتشد أبناؤها للإفلات من القمع. بالمغرب، الذي يفتخر أنه تلقى الكثير من أبنائه. هل لي أن أنسى أنه في سنة 1915، في خضم الحرب، ونحن نغامر بأول نشاطنا الإقتصادي، المتمثل في معرض الدارالبيضاء، كان الجزء المحرر من الألزاس يود المشاركة فيه، وأن شركات «طان» قد استقدمت لنا فرعا من الألزاس، تم استقبالها بما يليق بها من حفاوة عالية؟.
لقد حرصتم، على أن تتم هذه الإحتفالية عند قدم تمثال كليبر، هذا

العسكري الألزاسي العظيم، الذي نحيي من خلاله في المقاوم الأول جيشنا بمصر، ذاك الذي اعتبر بونابارت أنه يستحق تعويضه هناك في قيادة الجيش. لقد ظلت تلك الحملة على مصر، من أعظم العناوين على سمو جنسنا الفرنسي، التي من خلال سنوات معدودات، قد لقحت تلك الأرض ببدور رسخت جدورنا عميقة بها، بدليل أنه بعد قرن وربع القرن، نجد فيها قوية لا تزال كبصمة قوية، لغتنا ومؤسساتنا، وتقديرا من شعبها تجاهنا.
ثم، حرصتم، من خلال منحي دليلا على تقديركم، أن تخصوني بتمثال «نصر ساموتريس». وها هي ذي. ها هي، في كامل أبهتها وجمالها ومعاني عظمة الإغريق، أم الحضارات الغالية، التي أخدت عنها المسيحية والعالم الحديث المشعل.
هل كانت عودة رهيبة للهمجية قادرة على إطفاء جدوتها؟. لقد تخوفنا فعليا من ذلك. لكن، مرة أخرى، كانت فرنسا وفية لدورها الأبدي. وها هي الهمجية تتراجع، لأنها وجدت عندنا رجلا للإرادة ورجلا لتنفيذ تلك الإرادة، وأعني الرئيس ميللران والجنرال ويغوند.
ولقد قدمت لنا، الولايات المتحدة الأمريكية، بدون أدنى تردد دعمها، وانخراطها الحاسم. لأنكم، أدركتم أن الأمر لا يتعلق فقط ببولونيا، بل بكامل الحضارة العالمية، التي علينا إنقاذها.
تأملوا معي تمثال «نصر ساموتريس»، بجناحيه المحلقين، متقدمة الصفوف صوب القرار المخصب، وهذا أنتم مرة أخرى. إنها تقف في مقدمة باخرة، مثل تلك السفن التي حملت جهدنا الإستعماري صوب بقاع عدة من العالم. تلك السفن، التي عبر الأطلنتي، قد حملتكم إلى أرضنا القديمة من أجل النصر المحرر.

(يتبع)

هامش:
(1) يعتبر تمثال كليبر، أهم تمثال بمدينة ستراسبورغ الفرنسية، كونه يتوسط أهم ساحاتها العمومية. والجنرال كليبر هو قائد القوات الفرنسية

بمصر، تحت راية الجنرال نابليون بونابارت، الذي تم اغتياله من قبل طالب سوري بالقاهرة يوم 14 يونيو سنة 1800. واسم ذلك الطالب هو سليمان الحلبي. ولقد جاءت عملية قتل جنرال فرنسا ذاك، وهو في قمة انتصاراته العسكرية، خاصة بعد معركة هيليابوليس، التي انتزعت من خلالها القوات الفرنسية بقيادته كل مناطق مصر العليا، من بين أيدي القوات العثمانية والإنجليزية. فأصبحت شهرة هذا الجنرال هناك أكبر من قائده العام نابليون بونابارت، الذي عينه قائدا للجيش الفرنسي بمصر، قبل مغادرته إلى باريس. ولقد وضع قبره مباشرة تحت تمثاله بوسط ستراسبورغ ابتداء من سنة 1834. علما أنه من مواليد 9 مارس 1753 بذات المدينة الفرنسية.

(2) يعود اكتشاف هذا التمثال الإغريقي، الذي يرمز إلى النصر، إلى سنة 1863، من قبل نائب القنصل الفرنسي بجزيرة «ساموتريس» اليونانية. وهو يرمز إلى الإلهة الإغريقية «نيكي»، التي تقف شامخة على رأس مقدمة سفينة حربية، مطلقة جناحيها كناية عن النصر. وهي شقيقة الإله «كراطوس» إله القوة، والإلهة «بيا» إلهة الصلابة. والتمثال بدون رأس.

لن نكتفي بغسل أيدينا، مثلما فعل من أمر بقتل المسيح

ستراسبورغ: 23 غشت 1920
(في حفل العشاء)

ألقيت كلمة ثانية في مأدبة عشاء نظمت على شرفي، وهي الكلمة التالية:

« هل أستحق فعلا، المكانة التي وضعتموني فيها اليوم. لكن، ما دمت

أعتبر قيدوم جنرالات الجيش الفرنسي (وهذا أمر يثير حسدا كثيرا)، فإنه إلي يعود اليوم حق أن أرفع نخبي للجنرال «بيرشين»، القائد المبجل لجيوشكم (1)، وأيضا إلى الجيش الأمريكي، وبالتالي إلى كل الشعب الأمريكي، المنخرط في معركة من أجل الحق والعدالة. وأخيرا، إلى «الفيلق الأمريكي»، أي هذه الجمعية الكبيرة التي تجمع محاربي الأمس، التي تحملت مسؤولية إبقاء شعلة الروح المقاومة المحاربة لديكم، التي هي الضامنة الأكبر للسلام الذي نرتجيه.

علي، أيضا، أن أضيف على ما تفضل به، السيد «آلبوتيت» (المندوب السامي لمنطقة الألزاس لورين)، الذي ذكر بالعمل الجليل الذي تقوم به فرنسا بشمال إفريقيا، مخصصا لي تقريضا خاصا، دون أن يذكرنا، أنه على امتداد 12 سنة، كان هو واحدا من صناع ذلك المبجلين. وإلى اليوم، فحين أكون أمام تحد مشكل ما علي حله، أو أحتاج نصيحة معينة، فإنني أعود إلى قراءة منجزه الذي خلفه في تونس. ذلك أن سمو ذكائه، وكرم قلبه الكبير، هما الضمانة على ما سينجزه في هذه الأقاليم العزيزة.

إضافة، نعم، لمن تذكرتموهم هنا، فإن تفكيري يذهب صوب أولئك الذين لا يزالون منخرطين في المعركة، من ضباط وجنود بولونيين وضباط فرنسيين. فحين قررت، منذ 16 قرنا، جحافل البرابرة لأتيلا، تدمير العالم المتحضر، ففي فرنسا، بسهول الشالون، قد هزموا (2). ثم 3 قرون بعد ذلك، فإنه في فرنسا مرة أخرى، بمنطقة بواتيي، تم توقيف حمى الإندفاع الإسلامية (3). واليوم، فإن مبادرة حماية الحضارة قد جاءت مرة أخرى من فرنسا. والولايات المتحدة الأمريكية قد انخرطت معنا، بلا تردد، حتى توجه رسالة إلى البرابرة الجدد (ألمانيا) أن لا مجال أمامهم للتقدم.

لقد أدركتم، مثلما أدركنا نحن، أنه لا يكفي مجرد التخلص من الأمر بغسل اليد. ففي التاريخ، هذا يطلق عليه إسم «بيلاص البنطي» (4)، الذي سوء سمعته آتية من تقديمه الصادق (المسيح) إلى قاتليه، والتي لا تستحق التقليد. فبضل الله، رئيس حكومتنا، لم يؤمن أبدا، أنه يكفي غسل

اليدين فقط، وأنه لم يقبل أبدا أن تترك بولونيا لوحدها معزولة بعد
توحيدها وتحريرها. وأنه حين اتبع طريق الشرف والضمير، قد خدم كما
هي عادته، بشكل مثالي المصالح المستعجلة الآنية، ليس فقط لبولونيا، بل
للعالم. لهذا السبب علينا دوما أن نمجد إسم ميللران (رئيس فرنسا).
ليس هناك شعب عظيم وشعب صغير. هناك فقط شعوب. وسواء كان
اسمها الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، بولونيا، بلجيكا، فإن لهم نفس
الحقوق في الحياة وفي الإستقلال. أليس ذلك من أبهى وأجمل ما يمكن
التعبير عنه، هنا بستراسبورغ، بأرض الألزاس، بين الأمريكيين
والفرنسيين؟.

هامش:

(1) هو الجنرال الوحيد، إلى جانب الرئيس المؤسس جورج واشنطن،
الذي حمل رتبة «الجنرال القائد العام للجيوش الأمريكية» في التاريخ.
ولد يوم 13 شتنبر 1860 وهو الذي 1948. وتوفي يوم 15 يوليوز ،
سيقود شخصيا القوات الأمريكية المشاركة في الحرب العالمية الأولى،
بعد وفاة المسؤول الميداني عنها الجنرال فريديريك فونستون. ويعتبر
الجنرال بيرشين، من أكثر جنرالات أمريكا الذين اشتغلوا خارج بلاده،
في اليابان والمكسيك والفلبين.

(2) يحيل هنا الماريشال ليوطي، على حركة العنصر السلافي الجرماني
الهنغاري، بقيادة الزعيم «آتيلا»، الذي امتد نفوذه في كامل أروبا
الشرقية، والذي كان له طموح احتلال الجهة الغربية من القارة العجوز،
خاصة روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وصولا إلى مضيق جبل
طارق سنة 452 ميلادية. وفي الذاكرة الغربية الأروبية، فإنها قد ظلت
دوما تنظر إلى العنصر الجرماني، المستقوي بشعوب شرق أروبا، خطرا
على الإمبراطوريات السياسية بغربها، خاصة على روما وباريس.

بالتالي، فالصراع بين شرق أروبا وغربها، قديم جدا، وبقيت آثاره
.حاضرة حتى الحربين العالميتين الكبريين بالقرن 20
في إحالة منه، على المعركة التي قادها القائد المغربي الأندلسي عبد (3)
الرحمان بن عبد الله المغافري، أمير قرطبة بالأندلس، باتجاه باريس من
أجل احتلالها وإدماج المجال الفرنسي ضمن الجغرافية الإسلامية التي
كانت تتحكم حينها في كل شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال).
وهي المحاولة التي انتهت بهزيمته بمنطقة بواتيي سنة 732 ميلادية،
جنوب باريس بحوالي 300 كلمتر. وهي الهزيمة التي وقعت في المعركة
التي واجهه فيها الملك شارل مارتيل، الذي كان قد وحد الفرانس، أي
و 741 ميلادية. ولقد انتهت تلك 717المملكة القديمة لفرنسا، في ما بين
.المعركة بمقتل القائد الأندلسي عبد الرحمن المغافري
يحيل هنا ليوطي، على قصة ذلك الحاكم الروماني المحلي الصغير (4)
بفلسطين القديمة ببلاد الشام الكبرى، الذي أصدر الأمر لتنفيذ صلب وقتل
السيد المسيح. والذي سيتتم إقالته واستدعاؤه من قبل الإمبراطور
الروماني غاليغولا، الذي قيل إنه توفي منتحرا بسبب ما لقيه من نقد
وتهميش. علما أنه كان منبوذا من اليهود، كونه من أكثر حكام روما الذين
سفكوا دماءهم، بحكم تبعية «الشعب اليهودي» له بمنطقة الشام الكبرى.
وأنه إرضاء لهم، وبضغط منهم، سيشرف على محاكمة السيد المسيح،
وسيصدر قرار صلبه، وحتى لا يكون مسجلا عليه أنه هو من أصدر ذلك
القرار، قام أمام الجميع بغسل يديه بالماء النقي، كناية على أن يده نظيفة
أنا بريئ من دم هذا البار». »من دم السيد المسيح، مطلقا جملته الشهيرة
وإلى اليوم لا تزال الكنيسة المسيحية مختلفة في شكل تعاملها مع ذكراه،
حيث نجد الكنيسة الأثيوبية القديمة تمجده رفقة زوجته، بينما البابوية لا
تمجده كثيرا، والكنيسة الأرثوذوكسية المشرقية لا تمجد سوى زوجته،
.بينما هو عندها منبوذ

النصر لا يمنح لغير من يستحقه

لدار البيضاء: 21 شتنبر 1920

بعد عودتي من فرنسا، إثر التصويت على السلفة والإتفاقيات الخاصة بإنشاء خط للسكة الحديدية (بالمغرب)، خصص لي المعمرون الفرنسيون بالدار البيضاء، لحظة نزولي بمينائها، استقبالا خاصا، عند رصيف الميناء. ولقد ألقى رئيس الغرفة الفلاحية كلمة، رددت عليها بالكلمة التالية:
إني ممتن، لاستقبالكم لي هنا بالدار البيضاء. ولا أرى ما نعا، من أن » أعترف لكم، بكل الصراحة اللازمة، أنه حين غاردت المغرب صوب فرنسا، منذ 5 أشهر، كان في نيتي أن لا أعود إليه.
لقد تركت في سنة 1919 الكثير من الآلام والخيبات. لأنه ليس دوما سهلا، رغم كل الجهد الذي يبدله المرء، وكل التضحيات واستنزاف الوقت، يجد نفسه أمام حائط من النقد، والذي يستهدف أقرب مساعديه.
وكنت، وأنا أتتبع الجهد الخرافي الذي يبدلونه في الميدان، أستشعر عميقا مدى الظلم، الذي ظل يشوش على التقدير العالي والصداقة العميقة، التي تجمعني بهم.
وإذا كنت قد عدت، فإنه تحت إلحاح شديد من الرئيس ميللران، الذي إضافة للتقدير الذي يحمله له كل الفرنسيين كقائد، فإنه قد رفع عاليا منذ شهور، من قيمة بلادنا في العالم. معززا تقديري واعتزازي بارتباطي به، مضافا إلى ما أحمله من تقدير للبرلمان كممثل للأمة. ولم يترددوا في أن يعبروا عمليا، عن تقديرهم لشخصي العادي والبسيط، من خلال تصويتهم بدون مناقشة سواء في غرفة مجلس النواب أو مجلس الشيوخ (وهذا أمر نادر)، بالموافقة على القروض التي ستفتح أمام المغرب الإمكانيات الهائلة للتنمية الإقتصادية.
من حينها، أصبح صعبا علي أن أتخلى عن واجب العودة من أجل تحمل الحجرة الثقيلة للمسؤولية هنا. وكم أدرك، أنها مسؤولية جد ثقيلة، مثل أي

مسؤولية كبيرة، ليس لأنني لا أحمل شغفا هائلا للمغرب، الذي يربطني به ماض مهم، والذي وجدت فيه إلى جانب جلالة السلطان، وفاء من الأهالي، إلى جانب فعالية قواتي. ولا يمكنني أن أتجاوز عن التعاون الذي لقيته من كل أبناء بلدي من الفرنسيين المقيمين بالمغرب، وتشجيعاتهم. ورغم ذلك، كم أنا مدرك حجم ما ينتظرني من تحديات. وإن مواجهات وحل مشاكلها، يعتمد في جانب كبير منه، على قوة الثقة وقوة انخراط الغالبية العظمى من المعمرين الفرنسيين هنا. ستقولون إن علي الإعتماد على ذلك. وليس لي سوى أن أعتبرها بشرى، على أمل أن المستقبل سيكون هو الجواب العملي على تحويل الكلمات الجميلة، التي نتبادلها هنا بيننا، إلى أفعال.

إن ما يطلبه العالم، وتطلبه فرنسا، اليوم، هو العمل ضمن النظام. فلا أنا، ولا أي كان ممن هم محيطون بي، سيخدلون ما هو منتظر منهم، سواء على مستوى تفعيل الأول (العمل) وضمان الثاني (النظام). وألتمس من كل واحد منكم أن يساعدنا على تحقيق ذلك.

الرباط/ الدار البيضاء: 11 نونبر 1920

إحياء للذكرى الخمسين لتأسيس الجمهورية (1) وإحياء لذكرى النصر، استقبلت في الصباح بالرباط، المعمرين الفرنسيين، وفي الزوال، عقدت اجتماعا موسعا مع المعمرين الفرنسيين بالدار البيضاء، إلى جانب ممثلي كل المجموعات الفرنسية بالمغرب، بغاية وضع لتدشين تمثال النصر التي أنجزه الفنان والنحات لوندوفسكي (2). فألقيت الكلمة التالية أولا بالرباط:

مرحبا بكم، في هذه الدار، التي هي بالمغرب، دار فرنسا».

مساء اليوم، سأشرح، أمام الجماهير، بالدار البيضاء، لكل ممثلي المعمرين الفرنسيين بالمغرب، أهمية هذا اليوم. بالتالي، لا تنتظروا مني هذا الصباح خطابا مفصلا. فقط، دعوني أذكركم بما تعنيه الذكرى الخمسون للجمهورية هذه.

لقد سحقت فرنسا، سنة 1870، بميتز وسيدان، لكن، بعد إعلان الجمهورية، بقرار من حكومة الدفاع الوطني، دخلنا في مرحلة مقاومة وبدل، انتزعنا به تقدير العالم.ة وأننا لم ننقد فقط شرفنا (الذي لم نحسن للأسف الدفاع عنه)، بل أفلتنا من التقسيم. فكانت بعدها، الأربعة وأربعون سنة، من التأمل ومن الصبر ومن الإستعداد الهادئ، وأعيننا مفتوحة على

الجرح النازف، ثم المواجهة الحتمية حيث إننا في سنة 1914، قد وقفنا كأمة واحدة، وقدمنا 1500000، من أبنائنا في ما يشبه «الهولوكوست» (المحرقة). وما تبعها من نتيجة ماجدة لكل تلك التضحيات الكبيرة: النصر النهائي، وتحرير إقليمينا العزيزين (الألزاس واللورين). تلك هي القصة الكبيرة والمؤلمة التي لا تزال حية بين 1870 و 1920.

لنسعد أننا أبناء هذه الأمة، التي لا تتنازل ولا تتراجع أبدا أمام ضربات القدر. لنمجد موتانا، نعم، لكن لنتأمل أيضا الدمار الضاج فوق أراضينا، ولنتأمل وضعية العالم، والتحديات التي لا تزال تواجهنا وتهددنا، بالتالي، علينا أكثر من أي وقت مضى، أن نكون أقوياء، موحدين. ولنعمل، لنعمل بدون كلل، بكل قوانا، بكل نكران هائل للذات، من أجل أن يكون أبناؤنا جميعهم، محميين من كل أسباب القلق ومن المناحاة التي عشناها. وأنه تحت راية الجمهورية، ستنبعث فرنسا الجديدة، في إطار من النظام والسلم.

(يتبع)

هامش:

(1) يقصد هنا ليوطي الجمهورية البرلمانية لسنة 1870/ 1873، والتي استمرت حتى سنة 1929. بعد هزيمة نابليون الثالث في حرب سيدان يوم فاتح شتنبر 1870، أمام الجرمان الألمانيين، وفقدان الفرنسيين لإقليمي الألزاس واللورين. الذي اعتبر أكبر جرح أساء لكبرياء الفرنسيين، وأدى إلى إسقاط ملكية هنري الخامس، التي حاول خلالها استعادة المبادرة عبر البرلمان، لكن قوة الجناح الجمهوري كانت هي الغالبة والحاسمة.

(2) هو النحات الفرنسي والعالمي الكبير بول لوندوفسكي، الذي ولد سنة 1875 وتوفي سنة 1961. والده من أصول بولونية، ويعتبر من كبار نحاتي فرنسا خلال القرن 20. خاصة أعماله المشتركة ثقافيا مع الشاعر بول فاليري، التي من أشهرها «معبد الإنسان»، الذي تم إنجازه بباريس سنة 1925، بمناسبة تدشين معرض فنون الديكور. وهو فضاء إبداعي كبير يضم ساحات للإبداع العمومي، وكذا قاعات عرض سينمائي ومسرحي.

النصر لا يمنح لغير من يستحقه

(تتمة)
الرباط/ الدار البيضاء: 11 نونبر 1920

أنتم يا قدامى الحرب بالمغرب، وأنتم يا معطوبي المعارك، أنتم أيها الألزاسيون واللوريون، أيها الجنود، فرنسيوا بلادنا وفرنسيوا هذه المستعمرة الشابة والناجحة، المغاربة المرتبطين بنا بالدم المشترك المراق.. كلكم، يجمعنا هنا ذات النبض، اليوم للإحتفاء بهذه المناسبات الغالية.
ففي يوم 11 نونبر 1870، منذ خمسين سنة، استفاقت فرنسا كلها، ترتعش، من الخبر الذي أفاد أنه قبل يومين، في 9 نونبر، أن جنودهم انتصروا في معركة كولميي، وأنه يوم 10 نونبر، تم طرد العدو من أورليون. عليكم أن تعيشوا تلك اللحظات، حتى تدركوا رعشتها. فبعد ثلاثة أشهر من الكارثة، كان ذلك أول علامات العودة إلى النجاح. أكثر من ذلك، كان الأمر تدشينا لعودة أمة كاملة إلى النهوض، كان يعتقد العدو وكل العالم أنه تم سحقها نهائيا، وأنها بدون حكومة وبدون جيش وبدون قادة وبدون أدوات.
يا له من إحساس، ذلك الذي كان عند الفتى في 15 من عمره، الذي كنته، والذي لا يزال إلى اليوم يستعيد تفاصيل شهر نونبر ذاك، يوما بيوم، من الذي كان الأعظم مجدا حينها، والمثقل بآمال عراض في تلك .سنة 1870 المرحلة، التي حملت في التاريخ إسم «الدفاع الوطني». فتحت نبرات صوت من كانت فرنسا تتوحد حوله، بدون تمييز حزبي، «غامبيطا»، الذي تمجد باريس الآن ذكراه، تحت إشراف من كان رفيقه بالأمس، الذي ، والذي تحت قيادته «كان وزير الحرب الكبرى، السيد «دو فريسينيت كانت تخرج من تحت التراب جيوشه. إذ، بعد هزيمة متيز وسيدان، كان يعتقد أن كل شيء ضاع، ها هي المقاومة انتظمت في منطقة لالوار، في الشمال وفي الشرق، وأنه برز إلى الوجود قادة جدد، مثل: دوريل، شانزي

.وفيديرب
وإذا كانوا، للأسف، لم يستطيعوا انتزاع النصر الأكبر، فإنهم تمكنوا من إنقاذ شرفنا. إن ما زرعته حكومة الدفاع الوطني، خلال الأشهر الثلاثة تلك، فوق أرضنا وفي قلوبنا، هي خميرة مقاومتنا التي ولدت سنة 1914، .ونصرنا الذي كان سنة 1918
من حينها، استعادت فرنسا الثقة في نفسها، واكتسبت إلى الأبد، الوعي بما .تستطيعه حلول صلبة، أن تخلقه من ميلاد لسر البطولة التي أبهرت العالم
كانت فرق الحرس الوطني تضم كل شرائح المجتمع، من قدامى المحاربين المنضوين تحت الرايات، وأصحاب البدل الرمادية من جنود ، وأصحاب الياقات الحمر من الغاريبالدي «شمال إفريقيا من «الزواف (من إيطاليا)، كلهم كانوا يمشون بقلب رجل واحد، بروح واحدة، وحتى .«إن لم يكن المصطلح قد ولد بعد حينها، فإنهم شكلوا «الوحدة المقدسة
إن لنا، نحن فرنسييوا المغرب، أسباب أدعى للإحتفاء بخمسينية الجمهورية. لقد انهارت الإمبراطورية الفرنسية في القرن 18. لأنه بسبب مشاكلها الداخلية أو الأروبية، انزاحت الأنظمة التي تتالت، إلى نوع من اللامبالاة ولم تحتفظ منها سوى على مشهد التدمير. والمنجز الجزائري، بكل ما يعد به، لم يكن سوى جهدا معزولا. وللجمهورية الثالثة، يعود لقد سبق وقلت في خطاب أمام .شرف إعادة تأسيس مجالنا الخارجي الأكاديمية الفرنسية يوم 8 يوليوز 1920، أنه لا يجب نسيان حجم ما قدمته فرنسا الخارج (فرنسا الإستعمارية) للوطن الأم، من دعم خلال ساعات الخطر الماحقة. ولقد خصصت كل قواتنا الإستعمارية، بكل أنواع .فرقها، بتحية تقدير وشهادة كما تستحقها عاليا، ولن أعود إلى ذلك الآن
لكن، ما أحرص على التذكير به، أسماء دالة لبعض من كانوا مهندسي ذلك المنجز الكبير. إنهم، جول فيري، الذي وصفته التصنيفات غير المنصفة نسبة لمنطقة الطوكان الفيتنامية)، كنوع من السبة. بينما) «ب «الطوكينوا هو اليوم أعظم هناوين النصر فيها. إنهم «بول بيرت»، و»لانسان» وآخرون كثر (1). وهناك أمر هام يستحق منا الإنتباه، هو أن هؤلاء الرجال، الذين كانت توزعهم اختلافات السياسة بفرنسا، قد أصبحوا في الخارج، مسكونين بهم وحيد، هو خدمة أمتهم في عظمتها، وأنهم ظلوا يصدرون عن فكر متسامح، باحثين بشغف، عن الإرادات الطيبة أينما

كانت. ولقد انساقت إليهم جميعها، لأنه في هذه المهمة النبيلة، قد كانوا يمثلون فرنسا. فرنسا في كل ما لها من عظمة وريادة وإشعاع. وأنا متأكد أنكم كلكم مجمعون معي، اليوم، على تحية آخر من تبقى من ذلك الفريق على قيد الحياة، والذي لعب دورا محوريا في ميلاد «المغرب الفرنسي». إنه «يوجين إتيان»، الرؤوف، والمهندس الصلب لفرنسا الكبيرة، والذي واجه سنة 1870، إلى جانب «غامبيطا»، الساعات الصعبة التي نحيي اليوم ذكراها الخمسين.

وكما يحدث مع سندان الحداد الذي يطوع فيه الحديد وتوقد النار وتتولد الطاقة، كانت فرنسا في تلك الأزمنة، تدرك أنه عليها أن تبقة متوثبة، مستعدة، من أجل يوم المواجهة الأكبر الحاسم. وحين دقت الساعة سنة 1914، جاءت معركة لامارن والتضحيات الجسام والسنوات الدموية، قبل أن يأتي اليوم الماجد ل 11 نونبر 1918. وها هما الذكريان يلتحمان في ذكرى واحدة، حيث نجد في الأول مقاومة البلد المنهزم، ثم في الثانية سنوات المقاومة الماجدة والنصر النهائي.

إنني سأضع الحجر الأساسي لهذا التمثال، استجابة لدعوتكم، وتنفيذا لما تفرضه علي مهامي كقائد، متمنيا أنه كلما مرت الأجيال أمامه، أن لا تبحث فيه فقط عن رمز للنصر، بل الدروس التي أدت إليه. فإنه سيقول لهم الدرس الصاعد من القبور المقدسة، التي يرقد فيها أبناؤنا وإخوتنا، لحمنا، وأيضا أبناء هذا البلد المغاربة، الذين حرص جلالة السلطان اليوم أن يتوحد معنا في ذات العواطف. سيقول لهم، أيضا، أن النصر لا يمنح لغير من يستحقه،، وأن عليهم استحقاق المحافظة على نتائجه. وسيقول (مهام البناء)لهم، إنه اليوم تولد المهام الأصعب.

أن لا يكون السلم عاما بالعالم، فهذا أمر تعلمونه. وبغاية فرض احترام ما اتفق عليه من التزامات، ولأجل المحافظة على بيتنا العزيز في كامل وحدته وإعادة بنائه، محاطين أكثر من ذي قبل بجيران حساد وبنيات غير سليمة، فإننا في حاجة لطاقات خرافية من القوة والجهد. فإنه لا مجال لدينا للتراخي والدعة، أو حتى أستعمل التعبير الكلاسيكي، أن نرتاح على كرسي العظمة. والله وحده يعلم هل أبناء فرنسا قد استحقوا جني ثمارها. على جبهاتهم أن تبقى، إذن، حازمة، وأن تبقى أياديهم صلبة، وأن تبقى أساسا أياديهم متلاحمة.

آه، نعم، إن الأمر مرتبط، بما يفرضه علينا الواجب، غدا، واليوم قبل ذلك، إذا أردنا أن نبقى من نحن، وأن نحافظ على ما اكتسبناه، وأن نزيل كل أسباب الخراب. أي أن نكون الأقوياء الذين يفرضون الإحترام، على صورة من يقود أمتنا، (الرئيس) ألكسندر ميللران. وأدعوكم اليوم، هنا، بكل جوارحي إلى الوحدة والإنضباط والعمل.

لقد سمعتم من قبل، هذا النداء. ولم يحدث أن رأيت المجموعة الإستعمارية بالمغرب، التي خصتني الحكومة الفرنسية بثقة قيادتها، موحدة، مسنودة بحس لضمير الواجب تجاه ذاتها وتجاه من يتابعونها ويراقبونها، وبإزاء فرنسا وأيضا بإزاء الشعب المغربي. مندمجة بالكامل في ذات الروح التي توحدنا اليوم أمام هذا النصب.

(انتهى)

هامش:

بول بيرت، عالم فرنسي في الأصل، ولد سنة 1833 وتوفي سنة (1) 1886. لكن مشكلته أنه اتهم دوما بالعنصرية، كونه من الذين كانوا يؤمنون، بتفوق العنصري الأوروبي على باقي الأجناس البشرية، وأن سعى إلى إثبات ذلك علميا، هو الذي اشتغل على مجال التنفس وعلى اختراع مواد التخدير الطبية. سيعين مقيما عاما لفرنسا بالفيتنام الفرنسية، أي منطقة الطوكان، سنة 1886، وهناك سيصاب بمرض الكوليرا الذي توفي بسببه، 6 أشهر بعد تعيينه من قبل الحكومة الفرنسية.

أما «لانسان» فهو «جون ماري دولانسان»، من مواليد 1843 وتوفي سنة 1919. كان طبيبا ورجل سياسة فرنسي من الحزب الراديكالي اليميني. ولقد سمحت له مهامه السياسية كمقيم عام لفرنسا بالهند الصينية، بين 1891 و 1894، أن يعمق أبحاثه في المجال الفلسفي من زاوية علم الإجتماع والأنثروبولوجيا. قبل أن يعين وزيرا للبحر والصيد البحري بين سنوات 1899 و 1902. وظل لسنوات أستاذا بكلية الطب بباريس ونائبا برلمانيا في ولايات متعددة عن الحزب الراديكالي.